هورانو

دار الفراعنة للنشر والتوزيع

اسم العمل : مورانو

اسم الكاتب: طارق عيد

نوع العمل: رواية

رقم الإيداع : 27116

رقم الإيداع الدولي: 6 – 09 – 6668 – 977- 978

تصميم الغلاف : دار الفراعنة للنشر والتوزيع

الناشر : دار الفراعنة للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الأدارة : إكرام عيد

المدير التنفيذي : عزة ابراهيم

المدير العام : مصطفى فاروق

تليفون : 01224829591 – 01006141645

صفحة الدار على الفيس بوك



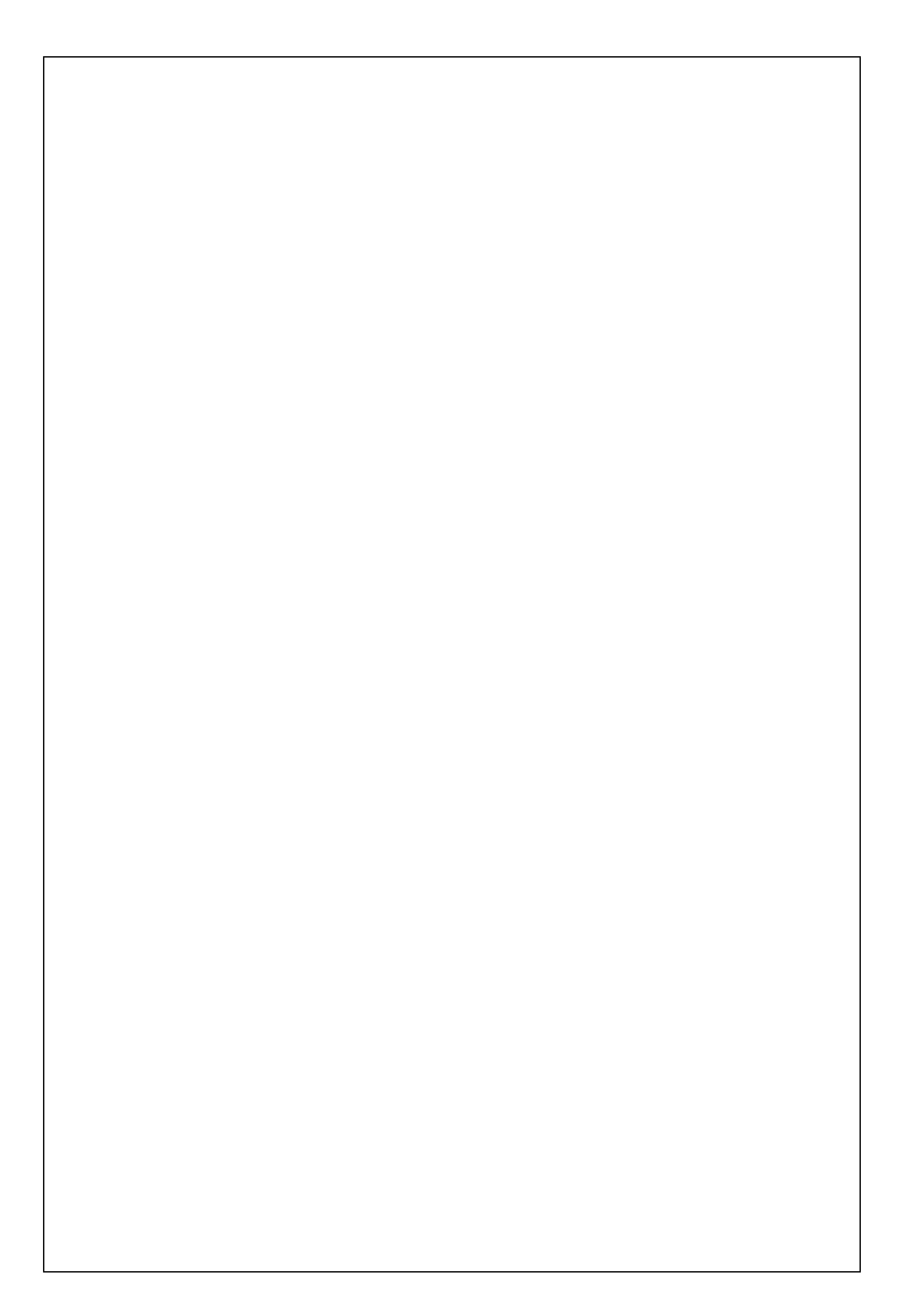

طارق عيد

مورانو


دار الفراعنة
دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

إهداء

إلى من تَلوَن في اللهيب وشَكَّلَ صِنفاً من مُورانو



مفاتيح

هبطت الطائرة وأنهى (عيوش) إجراءات الوصول بمطار القاهرة، ثم إستقل سيارة الأجرة متوجهاً إلى حي (حدائق القبة) حيث الشقة المهجورة لزميله بالعمل (عمرو)، ساعة مضت حتى وصل إلى ميدان (الحدائق) المزدحم والمكتظ بالسيارات والباعة، نظر (عيوش) إلى سور القصر الرئاسي فابتسم محدثاً نفسه:

"يخرب بيت صبرك.. لِسّاك أبنوس"

بعد خمس دقائق وصل (عيوش) إلى العنوان المنشود بأحد الشوارع الضيقة المتفرعة من شارع (مصر والسودان)، فأنزل حقيبته وأخرج من حافظة نقوده مبلغاً بالعملة المصرية اقترضه من زميله (عمرو) قبل أن يغادر المملكة العربية السعودية، فأخرج منه ورقة فئة المائة جنيه وأعطاها للسائق الذي خطفها وقبّلها وإنطلق بسيارته قائلاً:

- متشكرين يا بيه

أربعة طوابق صعدها (عيوش) بمشقة بالغة حمل فيها حقائبه الثقيلة، فلا مصعد ولا حارس عقار يساعده، وعند الطابق الرابع رقد على درجات السلم تتسابق أنفاسه ويتصبب عرقاً فلا يكاد يلتقطُ أنفاسه حتى أصدر شهيقاً قوياً أوشك أن ينخلع له صدره.

هرة سوداء مرت مسرعة أعلى ساقيه جعلته يهب على قدميه من جديد، فتحسس جيوبه في رفق ليخرج ثلاثة مفاتيح أعطاها له (عمرو) ليفتح الشقة ويقيم فيها فترة أجازته بمصر، نظر إلى الباب فوجد به موضعين لمفتاحين فقط، فجرب الثلاثة حتى فتح اثنين منهم ودلف إلى الشقة بقدمه اليمنى..

"بسم الله الرحمن الرحيم.. السلام عليكم ورحمة الله "

سبح (عيوش) بذراعيه في ظلام دامس يتحسس الجدران باحثاً عن مفاتيح الكهرباء حتى قادته الصدفة للعثور على بروز ضغط عليه فأنار المكان، لم تكن أحوال البيت بالسيئة، وكان كل شيئ في موضعه بشكل منظم حتى أحس وكأن شخصاً قد ترك البيت بالأمس، ربما لأن (عمرو) قد غادر إلى المملكة منذ شهر واحد..

" *حقيقي شخص شهم ومحترم* "..

قالها (عيوش) بعدما إسكتشف غرفة النوم ووجد فيها كل الأغراض المطلوبة في موضعها، فقد إعتقد أن البيت سيكسوه الغبار والأتربة، لكن إعجابه بشخص (عمرو) يظل في تفاقم كل لحظة.

أرخى (عيوش) جسده على السرير المريح وأخذ يسأل نفسه:

"كيف لشخص تعرف عليه منذ شهر فقط أن يعطيه مفاتيح شقته المنظمة لمجرد أنه زميله في العمل؟!

لا أجد أحد بمثل هذه المروءة.. ربما لأنني أقدم منه في العمل ويريد إسترضائي.. لابد أنه تربى بإسلوب جيد.. بارك الله في والديه"

غاص (عيوش) في سُبات عميق رأى فيه حلماً تسقط المفاتيح من كفه في بئر سحيق، فيتدلى بحبل ليلتقطها من أغوار البئر فإذا بزجاج متناثر يصعد من قلب البئر فيتلون ويعكس ضياءً كثيفا، ثم تتشكل قطع الزجاج المتناثر لأناس بأشكالٍ وألوان مختلفة تتشابك أيديهم فيندمجون ويصبحون شخصا واحداً يشد الحبل ويرفعه فيخرج من البئر ليجد كتاباً من زجاج وبين صفحاته المفاتيح التى سقطت منه..

استيقظ (عيوش) بعد وقت لا يدرك مداه، فنظر إلى ساعة يده ليجدها

السابعة مساءً، فنهض متوجها إلى دورة المياه، ثم عاد إلى صالة المعيشة ليجلس أمام تلفاز قديم ماركة (ناشيونال) ذكره ببيت جده القديم في (درب البرابرة) والذي باعه في آخر زيارة لمصر بعدما رحل كل من له صلة بأحجاره في غضون خمسة أعوام مريرة.

فقد توفي الجد ومن بعده الوالد، ثم تلته الوالدة بعد حزن أشعل رأسها شيباً، تركوه وحيدًا في بيت قديم وسقيم، وباءت كل محاولاته للهجرة بالفشل إلى أن وُفق (عيوش) لعقد عمل بالمملكة العربية السعودية في إحدى شركات تجارة الأثاث والأخشاب، فقام ببيع البيت القديم وشراء شقة حديثة بمدينة (السادس من أكتوبر)، وسافر بعدها إلى المملكة ليبدأ رحلة العمل ولم يعد إلى مصر إلاّ في مرتين إحداهما كانت في أعقاب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وبات معظم الأوقات في ميدان التحرير، والمرة الأخرى كانت صيف ٢٠١٣ وإستأجر حينها شقة مفروشة بوسط البلد لعدم جاهزية شقته الجديدة.

أتى (عيوش) مجددا وذكريات بيت العائلة لا تفارق خلده، فقد بات في حاجة إلى دفئ بيت جديد يبدأ فيه حياةً زوجية بمصر بعد أن جمع المال الذي سافر لأجله فيستكمل تشطيب الشقة أثناء تلك الأجازة ويشتري سيارة، ثم يعود إلى المملكة مرة أخرى فترة قصيرة يجمع فيها تكاليف إتمام الزواج بفتاة يرتاح لها قلبه.

أمسك (عيوش) بهاتفه الجوال وشرع في الاتصال بزميل المروءة (عمرو)، ولكن للأسف لم يكن جواله متاحاً، فضغط على زر الدخول إلى الرسائل وكتب:

"زميلي المحترم.. وصلت بالسلامة إلى شقة الحدائق وأنا سعيد جدا مما لمسته من ترتيب ونظام.. شكرا لك وسأخبرك حين أغادر إلى شقتي في نهاية هذا الشهر"

تحرك (عيوش) كالنحلة داخل الشقة يستكشف كل شيئ حتى توقف عند باب مغلق بقفل معدني، حينئذٍ تذكر المفتاح الثالث، فذهب لإحضاره وجرب أن يفتح به، وسرعان ما إنفتح القفل ودفع (عيوش) الباب ليصدر صريرا مزعجاً ويكشف غرفة ضيقة ومعتمة وممتلئة بأشياء عدة كقطع الخردة وبقايا أخشاب وأوراق وملفات، فأمسك (عيوش) بأحد الملفات كُتب عليه بخط ديواني جميل "قصص غير قصيرة"، فقلَّب عيوش الأوراق بأطراف أنامله ليمر بعينيه سريعاً بين العديد من القصص المكتوبة بخط اليد..

"فعلا أخلاق عمرو دي ما تطلعش غير من كاتب ومبدع"

قالها قبل أن يغلق باب الغرفة الضيقة ويعود إلى صالة المعيشة ممسكاً بالملف، ويشرع في نزع بعض أغراضه من داخل حقيبة السفر، ولكنه توقف فجأة حينما سمع خشخشة مفاتيح تصدر عند باب الشقة..

جمد الدم في عروقه، فترك الملف داخل الحقيبة وتحرك صوب الباب فإذا بالباب ينفتح ويظهر من خلفه شاباً أسمر يرتدي بنطالاً (جينز) أزرق وقميص فاتح اللون، لم يكد يره حتى فزعا كلاهما، فإنقض عليه الشاب يركله بقدمه قابضاً على عنقه بذراعه وعضلات صدره لتتدلى رأس (عيوش) من تحت إبطه كالطبلة يقرعها الشاب بقبضة يده مصدراً إيقاعاً منتظماً من الآهات والضغاء والصرخات تجمع على أثرها الجيران

وسكان العقار.

إستفاق (عيوش) وإستجمع قواه مرة أخرى ليرى بضع رجال وقد إلتفوا من حوله يتحدثون عن لص أتى إلى الشقة، فما كاد ينبس حتى إنهمر عليه سيل من الأسئلة بأصواتٍ غليظة:

- *إنت مين؟ إيه إللي جابك هنا؟*
- *سرقت إيه ياض؟*
- *شكلك إبن ناس.. إنت منين يلَه؟*

سرد لهم (عيوش) رواية كان برهانه فيها جواز السفر والحقائب الملقاة في مدخل الشقة، وكانت الفاجعة بأن علم من صاحب العقار أن زميله (عمرو) كان مستأجراً لتلك الشقة المفروشة وغادرها منذ أكثر من شهر وإستأجرها هذا الشاب منذ أسبوع ولكنه لم يغير الأقفال القديمة حتى الآن..

إستنهض (عيوش) نفسه فشعر بألم شديد في رأسه، ولكنه أصر على تناول هاتفه الجوال ليجري إتصالاً آخر بزميله (عمرو)، ولكن الهاتف ظل مغلقاً، فأجرى إتصالا آخر بصاحب العمل في (السعودية) فلم يرد عليه، فعاد ليتصل بزملائه في العمل واحداً تلو الآخر حتى أجاب أحد الزملاء سوري الجنسية وأخبره بأن قرارا قد إستصدر اليوم من صاحب الشركة بترقي (عمرو) لدرجة رئيس القسم بدلاً منه، ونصح (عيوش) بألا يعود مرة أخرى حيث أنه قد سمع خلسة بأن الكفيل سوف يتهمه بالتبديد ويرسل في طلبه للقبض عليه في حين قدومه مرة أخرى.

بانت الغيوم في الأفق وباتت سماء (عيوش) ممطرةً بالمصائب، ولم يعد

هناك بد من مغادرة الشقة والإعتذار للشاب وصاحب العقار، فجمع (عيوش) أمتعته في وقت وجيز وفارقهم والأسى يندي قسمات وجهه تاركاً لهم الثلاثة مفاتيح.
حمل حقائبه وإستقل سيارة أجرة إلى وسط البلد وجلس بداخلها يفكر كيف حدث هذا؟! ولماذا يتهمه الكفيل بالتبديد؟! وما الذي فعله ليحدث كل هذا؟!!
أسئلة كالطبول تدق رأسه بلا هوادة ولا يجد لها سوى إجابه واحدة..

" هو عمرو إبن ال.. حسبي الله ونعم الوكيل"

لم يتخيل (عيوش) أن شخصاً بمثل هذا الخلق الرفيع يحتال عليه ليقصيه ويحل محله، لم يكن يحسب أن هناك مصرياً مهموماً بوطنه يتحدث عن أهل بلده وكأنه زعيم الأمة (سعد زغلول) ثم يقوم بإيذاء أخيه المصري في غربة بلد آخر..

"ياله من وضيع!"

قالها وهو يأنب نفسه لسذاجته وقلة حيلته.

ساعات مرت حتى عثر على غرفة غير مشغولة في فندق ثلاث نجوم بوسط البلد، فحجز اسبوعاً يرتب فيه من أحواله ويهيئ شقته في (السادس من أكتوبر) لينتقل إليها بعد أن صار السكن فيها إجبارياً، وصعد إلى غرفته لا يرى إلاّ ظله المُلقى على الأرض، فأدخل المفتاح بيد مرتعشة، ثم دخل إلى الغرفة، ورمى بنفسه على كرسي خشبي لا يسمع سوى صوت أنفاسه وأطيط بطنه الذي خوى وتضور جوعاً،

فتحرك صوب حقائبه يخرج منها أغراضه وبعض الفاكهة والعصائر التي حملها معه، فإذا به يجد ملف "قصص غير قصيرة" أمامه، فأخذ نفساً طويلاً وأدرك حينها أنه يخص الشاب الأسمر الذي عزف سيمفونيات (بيتهوفن) على رأسه، فإلتقط تفاحة وقضمها وجلس يقرأ ما كتبه الشاب لربما يجد بين السطور مفاتيح أخرى تفتح الأقفال المغلقة...

راجية حياة

أنهكه السير الطويل حتى وصل إلى مشارف (نظير).. تلك البلدة ذات الأسوار القديمة.. أخيراً سيلتقي بأهل قبيلة (سنام).. قد سمع عنهم أثناء رحلاته المستمرة وجاء الوقت ليلتقي بهم ويدوّن سيرتهم ليسجلها التاريخ وترويها الأجيال من بعده..

"ياله من يوم حار وسط الصحراء الجرداء ولكن الغاية نفيسة.. ها هو السور القديم"

قالها المستكشف الرحالة (سعيود المغاربي) وهو يحدث نفسه عند أعتاب سور بلدة (نظير) قبل أن يقترب من أبوابها.

لم يمضي خطوات كثيرة حتى إنعقدا حاجبيه أمام غرابة منظر لم يراه من قبل وتساءل في نفسه مندهشاً:

- ما هذا السور العجيب؟! إنه يشبه حصون من جماجم.. وما هاتين البوابتين؟!

وقف (سعيود) حائراً أمام بوابتين للبلدة إحداهما كبيرة ومرتفعة ومهيبة يقف أمامها ثلاثة حراس ولا يتحرك عندها أحد، وبوابة أخرى ضيقة وقصيرة تعلو قليلاً عن سنام الجمل ويمتد أمامها ذيلٌ طويل من البشر طوال القامة منهم من يدخل ومنهم من يخرج، وأغلبهم يطأطؤون رؤوسهم عن المرور من البوابة..

لم يحتاج الأمر للفراسة، فتوجه (سعيود) نحو البوابة الصغرى ووقف عند طرف الذيل ينتظر دوره في الدخول حتى وصل إلى مدخل البوابة الضيقة وبعد وقت ليس بطويل إمتدت ذراع غليظة أمام صدره وإخترق صوت قوي أذنيه قائلاً:

- توقف..

نظر " سعيود " أمامه فوجد رجل قوي البنية ينتصب أمامه وينظر إليه متمعناً قبل أن يسأله:

- سنامي أنت؟

- بل عابر سبيل

- من أي شعب؟

- رحالة من الغرب

- إذن فلتذهب إلى بوابة الشيخ

قالها مشيراً بيده نحو البوابة المرتفعة قبل أن يشيح بنظره عنه ويصيح في المنتظرين خلفه:

- التالي

إنصرف (سعيود) نحو البوابة المهيبة حتى قابل ثلاثة حراس، وبغرابة شديدة سمحوا له جميعاً بالدخول بيسر دون سؤال واحد، بل أنهم حيّوه بإنحناءة من أجسادهم قائلين:

-تفضل ايها الغريب

سار الرحالة في دهشة إلى داخل البلدة حتى وقعت عيناه على رجلاً كان يقف في صف الدخول إلى البلدة، فتوجه نحوه سائلاً:

-أيها الرجل إني ها هنا عابر سبيل.. ولي سؤال..

إنتبه إليه الرجل وتوقف مجيباً:

- ماذا تريد؟

-لماذا يدخل الغرباء من بوابة الشيخ الكبيرة بلا سؤال بينما أهل (نظير) يدخلون من البوابة الضيقة؟!

إبتسم الرجل قائلاً:

- *إنه الشيخ*

ثم انصرف عنه دون أن يترك له فرصة لسؤال آخر فمشى (سعيود) حائراً إلى أن رأى عين ماء كبيرة تسيل ومن حولها تتهافت الناس لملأ دلائهم وأوعيتهم، فتذكر حرارة جسده والعرق الذي يتصبب منه وقِربته التي نفذت، فذهب يزاحم الناس حتى رأى العين وقد قاربت على الجفاف.. حينئذ سمع صوتا ينادي:

مااااء الورد

إلتفت إلى الصوت فوجد رجلاً يحمل قدراً ويسقي الناس ثم يعطونه بعض النقود، فذهب إليه طالباً السقاية وبعد أن أشبع صدره وإرتوى أخرج (سعيود) من جيبه بعض النقود وقدمها للساقي قائلاً:

- *أنا غريب عن البلدة ولا اعرف كم تساوي هذه السقاية.. ولكن هذا يشتري قِدراً نحاسيا في مدينتي*

نظر إليه الساقي بريبة وأخذ يتفحص ما يقدمه له وهو يتلفت حوله بحذر وهَم بتناوله إلاّ أنه إرتد فجأة قائلاً بصوت مرتعش:

- *لا لا .. نحن لا نأخذ نقوداً من الغرباء.. نحن لا نأخذ من عابري السبيل.*

- *بل خذه فإنه حقك..* في تلك اللحظة ظهر رجلاً وكأنه خرج من بطن الأرض وعلى الفور قام بزج الساقي في صدره صائحاً به:

- *إذهب بعيداً يا رجل وإلاّ أبلغت الشيخ*

ثم نظر للرحالة وأردف قائلاً:

- أيها الغريب نحن لا نبيع الماء للغرباء

إنصرف الرجلان وإنصرف (سعيود) إلى مكان آخر في البلد يقصد بيتاً يأويه أو جامعاً يرتاح فيه قليلاً حتى يكمل رحلته في (نظير)، وبالفعل وجد ضالته عند ساحة واسعة بوسط البلدة يجلس فيها الناس يتسامرون ومنهم من هو جالس ومنهم من ينام على الأرض، فمكث قليلاً يقلب عينيه في أرجاء المكان.. كل البيوت قصيرة ومنخفضة الإرتفاع بينما رجال البلدة ضخام وأقوياء!

أخذ يجول ببصره بين الأروقة ويشاهد الأطفال يمرحون بين الهرر والكلاب، حتى وقع بصره فجأة على هيكل خشبي مرتفع وعال.. هيكل يشبه الهرم مقلوباً.. قمة الهرم تلتصق بالأرض وقاعدته تتربع إلى الأعلى.. ليس هذا كل شيئ.. وليس كل ما يثير دهشة (سعيود) هو ذلك الهيكل الهرمي المقلوب، وإنما يثير ذعره تلك الأجساد المشنوقة والمتدلية منه!

أهل القبيلة يجلسون في إسترخاء ويلعبون ويمرحون من حوله في إعتياد تام وكأنهم لا يرون تلك الأشباح المتدلية من فوق رؤوسهم!

إنهم ثلاثة فتيان على كل جانب.. لا لا.. بل هناك فتاة في الوسط.. ياله من مشهد.. هل هم أعداء القبيلة؟ ما هو الذنب الذي أستحق أن تزهق أرواحهم بهذا الشكل المقيت؟!

تساؤلات كثيرة تطوف برأس الرحالة المستكشف حتى هب من مكانه مخترقاً أحد التجمعات، وبهدوء ورباطة جأش وجه إليهم الحديث متسائلاً عن هذا الهيكل..

لم يتعجب أهل القبيلة من سؤاله، وابتسم له أحدهم وقال بهدوء:

- إنهم الجواسيس.. نقتلهم ثم نجعلهم عبرة للسناميين وكل القبائل وأي عابر سبيل.. والعبرة لمن يعتبر

أومأ (سعيود) برأسه متفهماً ثم قال:

- تقصد أنهم كانوا عابري سبيل مثلي ولكنهم أتوا ليتجسسوا على أهل القبيلة وحاولوا أن..

قاطعه أحد الفتيان بحدة:

- بل هم من أهل القبيلة.. ولكن الشيخ ووجهاء القبيلة إكتشفوا خيانتهم..

ثم إلتفت إلى الهيكل مشيراً بسبابته وقال:

- أترى ذلك الشاب ذو الوجنة الحادة.. قد اشاع الفتنة في القبيلة وإكتشف خيانته الوجهاء.. وهذا الذي بجواره ذو الجسد الأسود المحترق.. هذا (سامر) ابن تاجر الغلال.. ذهب في رحلة إلى بلاد (النبهاء) ليتعلم وبعدما عاد وجدنا بحوزته جلود وقراطيس منقوش عليها صورا لبيوتنا.. فعلقنا جسده وأحرقنا دنس تلك الصور من تحته ثم اسدلناه ليشويه جحيم مخططاته، أما تلك الفتاة المتدلية رأسها في المنتصف.. إنها بنت الحكيم (عامر) أكبر حكماء القبيلة.. رحلت في الخفاء ليلاً إلى قبيلة (سلطيل) والتقت شاباً هناك.. وعندما عادت أمر الشيخ بها فأفتضح أمرها و..

لم يكد الشاب ينتهي من كلاماته حتى أحس (سعيود) بيدين تقبضا على ذراعيه بقوة ورأى ظلاً لرجلين من خلفه، ثم سمع صوت أحدهما يقول:

- أيها الغريب.. الشيخ أمر بإستقبالك في داره

لم يتركا الرجلين فرصة للرحالة ليجيب أو حتى يفكر فيما سيقوله، فكأنما أمراً حتماً مقضياً، فإنقاض معهم بلا حول ولا قوة حتى وصل عند الدار،

وأمام أطول بناية في (النظير) جحظت عيناه وصار يتأمل داراً مرتفع يشبه معبد فرعوني له أعمدة عالية تزينها تيجان منقوشة، وفي أوسطه بوابة واسعة ومرتفعة تسمح بدخول قطيع من الزراف كالنخل باسقات.

داخل الدار وعند فناء المنتصف جلس شيخ كبير على أريكة واسعة مرخياً خده الأيمن على قبضة يده التي تمسك بعصاة خشبية منقوشة بنقوشٍ تشبه الطلاسم، نصف جسده الأعلى ضئيل الحجم قصير الطول يختلف عن نصف جسده السفلي، لا تظهر قدماه ويغطيها ثوب حريري مطرز وملفوف حول وسطه ويتدلى وينسدل حتى يعانق الأرض من تحته.

نظر الشيخ متفحصاً (سعيود)، ثم قال بهدوء:

- *مرحبا بك أيها الرحالة.. ماذا في جعبتك لنا؟*

- *كل الخير يا شيخ القبيلة.. ما أضمر شراً لخير الناس.. فأنا الرحالة سعيود المغاربي وأتيت إلى هنا..*

- *أعلم أنك الرحالة سعيود المغاربي الذي أتى من بلاد الحضارة وطاف بأكثر من أربعين بلد وزار الشيوخ والحكماء والرهبان والأمراء وجلس في بلاط الملوك.. قد انتظرتك تأتي إلى هنا منذ سنوات.. وها قد أتيت أخيراً.. فلتجلس وتستريح من عنت السفر..*

ثم أشار الشيخ للرجلين فأتيا عن جانبيه ورفعاه عن أريكته وانزلاه على وسادة صغيرة على الأرض، حتى ظن (سعيود) في بادئ الأمر أن الشيخ قعيد ولكن الشيخ بدا واقفاً على قدميه .. نعم إنه يقف وكأنه لا يقف .. إنه قزم قصير القامة!

ظل الرحالة محدقاً للشيخ بينما ضغط على كتفه أحد الرجال قائلاً:

- أقعد على الأرض

فجلسا الرحالة والشيخ على الأرض وانصرف عنهما الرجلان ولأول مرة يشعر (سعيود) بأنه ضخم البنية في بلدة (نظير)، لم يستغرق الأمر سوى برهة قصيرة حتى سأله الشيخ:

- ستمكث في الدار حسبما شئت وسنأتي لك بصنوف الطعام والشراب ولا تخجل من طلب أي شيئ، فأنت ضيف عزيز

- أشكرك يا شيخنا الجليل.. أنتم أهل كرم والله.. قد شهدت كرمكم منذ دخول المدينة وحتى في سقاية الماء

- سقاية الماء؟!

- بلى.. فقد سقاني الساقي ماء الورد ولم يأخذ نقوداً

سكت الشيخ قليلاً قبل أن يقول:

- سنام لا تأخذ مقابلاً للسقاية من الضيوف أو عابري السبيل.. فقط نأخذه من أهل القبيلة

- كنت قد مررت بعينٍ وشرعت أملأ منها قربتي ولكن الزحام كان كبيراً

- حقاً.. فالعين أوشكت على الجفاف ولا تكفي كل القبيلة فنبيع لهم الماء المصفى ونخلطه بماء الورد ليشعروا بقيمة الماء ولا يسرفوا فيه

- ولكن يوجد حول نظير أبار عدة قد رأيتها أثناء قدومي.. لما لا تحملوا منها الماء للسناميين؟

- لأن تلك الآبار قد يُدس فيها السم من أعداء القبيلة

- يمكنكم أن تبقوا عليها حراس

امتعض الشيخ ثم قال:

- أي حراس؟! نحن لا نحرس الأبار.. الحارس هو الأله ونحن لا نخاف على الماء فعين (زاد) تسيل من آلاف السنين ولن تنضب أبداً..

صمت (سعيود) قليلاً ثم قال:

- ادهشني دخول أهل القبيلة للبلدة من باب واحد ضيق وهناك باب آخر أوسع منه.. ما الحكمة من هذا؟

- يا رحاالة..انت مجتهد جدا وتسأل عن كل شيئ ولا تترك شيئاً لا تخطه في كتبك ويقرأه الناس

إبتسم الرحالة وقال:

- إن أمرتني يا شيخ القبيلة فلن أكتبه ولن يقرأه الناس

- بلى.. لا أريد تدوينه.. ولكني سأذكر لك الحكمة من وراء هذا .. لك أنت فقط

عاد إلى الخلف قليلاً واستراح إلى مرفقه الأيمن ثم أستطرد قائلاً:

- أنا الشيخ (أصلان)شيخ قبيلة (سنام) وقد خُلقت قزماً صغير الحجم كما ترى ومن حولي رجال كقمم الجبال.. وأورثني الأله من الحكمة ما جعل أهل البلدة يثقون في ويأمنون لحكمي فيهم.. فإن رأوني صغير الحجم بينهم إستهزؤا بي وإن رأوا أنفسهم كباراً ضخاماً زادت سطوتهم وزادت الفتنة بينهم.. فلزم لسنام أن ينحنوا عند كل مرور إلى أرض نظير حتى يتذكروا بأنهم الأصغر والأدنى قدراً وأن هناك من هو أكبر منهم يدخل ويخرج من الباب المهيب العظيم.. وأن الحكمة والعقل الراجح فقط هما ما يعليان من شأن الانسان

بدا (سعيود) مندهشاً غير متفهماً لما يقوله الشيخ (أصلان) ولكنه حاول إظهار الرضا لما يسمع فقال:

- الآن فهمت لماذا تتدلى أجساد الجواسيس على هرم خشبي مقلوب في وسط البلدة.. قطعاً تريد أن تبرز للناس خطاياهم وترهبهم من فعلها..

- كلمة "ترهبهم" في البلدة ممنوعة ويسجن من يقولها.. ولكنك غريب لا تعلم.. شيخ القبيلة لا يرهب إلاّ الأعداء.. أما أهل البلدة فهم أخوته وأبناؤه وزوجاته وعشيرته..

- ولكني سمعت أن المشنوقين كلهم من أهل البلدة

- نعم هم كذلك.. هم خائنون للقبيلة.. لقد اكتشفهم الوجهاء ونظرت في أمرهم على مائدة قضاة البلدة وحكمت فيهم بما إقترفوه وبما يرضي الأله

- أمراً عجيباً أنهم كلهم من شباب القبيلة!

أخرج الشيخ نفساً طويلاً ثم قال:

- الشباب لا يملك الحكمة وتغريه الأموال فيقع دائماً في الخطيئة

ثم نظر له نظرة ثاقبة ودنا منه مبتسماً وقال بلهجة تحذيرية: *ونحن لا نريدك أن تقع ايضاً في الخطيئة*

إضطرب (سعيود) قليلاً وتساءل مستنكراً:

- أي خطيئة؟!

فأجابه الشيخ بثقة:

- أن تأتي إلى هنا وتكتب ما لا نريد وتذيعه على البلدان التي ستزورها

بدت علامات الضيق على الرحالة وقال له:

- إن تمنعني من التدوين فلن يخفى ذلك على الناس شيئاً.. فإن لم أكتب

شيئاً فسيكتبه غيري وإن لم يدوَّن اليوم فيمكن أن يذاع بالألسنة بعد غد..
هذه سنة الحياة
مرت الجملة على اذن الشيخ كالسهم يحمل ناراً، فإستشاط الشيخ غيظاً وهب واقفاً وإنصرف عنه قائلاً:
- خُذ ضيافتك وأرحل عند طلوع الشمس وعندما تعود لبلادك أبلغ تحياتي للملك المبجل
في الليل بات (سعيود) في أحدى غرفات الدار الواسعة، كانت غرفة متوفر بها كل ما يمكن أن يحتاج إليه المرء، فإغتسل وأرخى جسده بعض الوقت، وبينما يرقد في فراشه أحس بصوت أنفاس تأتيه من مكان قريب، فهب من مضجعه يفتش بعينيه في كل ارجاء الغرفة حتى سمع صوتاً مكتوماً يأتي من اسفل، فنظرمن تحته فإذا بفتاة تخرج من أسفل السرير واضعة راحة كفها على فمه وبسبابة كفها الآخر تشير له على شفتيها بالسكوت:
- ششششش
(سعيود) بصوت خفيض:
- من أنت؟ وماذا تريدين؟
-أنا (راجية) بنت الحكيم (عامر) وأعمل خادمة في هذه الدار
-بنت الحكيم (عامر)! اليست هي الفتاة المعلقة بالهيكل لأنها..
- نعم نعم.. إنها أختي (حياة) وهي لم تذنب قَط.. وإنما قُتلت لأنها هربت من أحد وجهاء البلدة..
- ويحك.. مهلاً.. لا أفهم شيئاً

عادت الفتاة بظهرها إلى الوراء لتتنفس الصعداء واستمرت تروي له وكل فرائصها تنتفض:

- أحد وجهاء البلدة و اسمه (ثابت).. أراد أن يستلذ بأختي (حياة) فأعرضت عنه.. فقام هذا البغيض بعد الإنتهاء من بناء تلك الدار بإهدائها للشيخ (أصلان) ليكسب وده وثقته.. ثم طلب أختي للنكاح.. فأبت الزواج منه لأنه شخص مقيت ومتزوج.. فذهب إلى أبي الحكيم وهدده بأنه سيوشي به عند الشيخ وسيسجنه إن لم يجبرها على الزواج منه.. ثم قام بزرع الشكوك في نفس الشيخ.. فأمر الشيخ بمنع الدروس في دار الحكيم (عامر).. وحزن أبي حزناً شديدا .. فهربت (حياة) من البلدة ليلاً ولكن أتباع (ثابت) إقتفوا أثرها وامسكوا بها ثم إقتادوها إلى البلدة مرة أخرى.. وأتهمت بالخيانة ومضاجعة شاب من شباب قبيلة (سلطيل) المعادية لنا .. وقتلوها

- ولماذا لم تدافع عن نفسها؟!

ذرفت (راجية) الدمع وهي تجيب:

- لقد دافعت عن نفسها ولكنها بلدة الوجهاء.. إن لهم سطوة.. يجعلون من الشيخ والياً أمام الناس لكنهم يحكمون بما يريدون

نظر إليها (سعيود) بعطف شديد وسألها محتاراً:

- أنا أقدر مصيبتك.. لكن ما شأني بذلك؟ ولماذا أتيتِ هنا؟!

- بعد مذلة الفضيحة وشنق أختي (حياة).. وبنصيحة خبيثة من أحد الوجهاء أمر الشيخ بأن آتي إلى هنا وأعمل خادمة في الدار لأكون تحت بصره ويمنعني من خيانة القبيلة مثل أختي..

تنهدت بأسى وأردفت:

- اليوم صار الوجهاء يطمعون في أن أكون محظية لمن يرضى عنه الشيخ منهم.. فيكون المصير بأن أرضى بأقل ما أبت أختي أن ترضاه.. وقد أتيت لك حتى تساعدني.. أريدك أن تساعدني..

- وكيف لي ان اساعدك؟!

- ليس عندي خطة.. ولكنك أتيت من بلادٍ يهابونها ويخافون قتلك أو حتى إيذائك خشية أن يغضب عليهم ملك بلادك المبجل.. فهم ضعاف ولا يقوون إلاّ علينا.. لذلك سيدعوك تذهب في الصباح من دون أذى.. ويمكنك أن تأخذني من بينهم ولن أنسى لك هذا المعروف ما حييت

جلس (سعيود) في حالة من ذهول وحرج مما سمع وهو لا يدري كيف يتصرف، فسكت طويلاً ثم قال لها برفق:

- أنا هنا لأنني رحالة مستكشف.. أدوِّن ما أرى وما أسمع وأرسم الخرائط للمدن والبلدان.. أنا هنا للعلم والتدوين والتأريخ.. وليس لي صلة بشئون الحكم في البلاد.. ولذلك يدعني الملوك والحكام أجول بحرية وأذهب في سلام.. حتى لقبوني بزائر السلام بين الأمم..

ثم أخذ نفساً عميقاً وقال باسى شديد:

- عفوا.. ما وددت أن أخذلكِ ولكن لا استطيع أن أساعدك.. عودي من حيث جئتِ وأعدك بأني لن أذكر هذا اللقاء للشيخ وكأنه لم يحدث..

* * *

لم ينم (سعيود) وعند بزوغ الفجر أعد عدته ليرحل من البلدة وفي

الصباح إقتاده رجل قوي على فرس إلى البوابة الكبرى للخروج من أسوار البلدة، وبينما هما في طريقهما مر بجوارهما مجموعة من الرجال يحملون تابوت خشبي ويطلبون إفساح الطريق إكراماً للميت.. فتمهلا قليلاً حتى يعبر التابوت بحامليه، وبعد عبور التابوت نظر الرجل القوي نحوه بأسى ثم قال:

- وا اسفاه.. كانت صغيرة العمر

فنظر إليه (سعيود) سائلاً:

- أتعرف الميت؟

بأسى شديد:

- نعم.. إنها خادمة الشيخ وابنة الحكيم (عامر)

خرجت كلمات الرجل كصخرة هوت فوق رأس (سعيود).. ففزع قبل أن تنطفئ ملامحه وشحب وجهه وهو يتمتم ببعض الكلمات غير مفهومة.. ثم نطق بصعوبة:

- أقتلت؟

- لا .. بل شج السكين معصمها أثناء العمل في مطبخ الدار ولفظت أنفاسها قبل أن يطببها أحد..

و استطرد قائلاً: مسكين الحكيم (عامر) رحلت إبنتاه في شهر واحد.. ياله من قدر!

حينئذ وصلا إلى بوابة البلدة وخرج الرحالة (سعيود المغاربي) وحيداً بائساً يجر قدميه وينظر خلفه من حين لآخر على سور البلدة وكلما نظر إلى البوابة التي خرج منها رأى وجهاً يطل منه ويصرخ:

" *أتيت لك حتى تساعدني.. أريدك أن تساعدني* "

بعد مسيرة شهور عاد الرحالة إلى بلاده، ولم يقم بزيارة بلدان أو مدن كثيرة بعد (نظير)، ثم توفته المنية بعد أربعة أعوام قام خلالها ببناء مدرسة أسماها مدرسة " مدرسة راجية حياة لتعليم الصغار"، وأنهى تدوين رحلاته في خمسة كتب، سطر على مقدمتهم جميعاً عبارة واحدة وقام بحفرها على سور مدرسته التي بناها..

" إن الشعوب تبني الأسوار لتحميهم من خطر يأتي من الخارج.. والحق أن الخطر يكمن في طيات نقائصنا ويأتي من الداخل "

قلب الريشات

أمضى الفيلسوف عمره يقرأ ويتعلم ويُعَلِم الناس ما قرأه وتعلمه، ولم يزل يكتب ويفسر حتى إستهوته كتابة وتدوين آرائه في الحكام وبعض من سِيَر العظماء فأبدع في كتابة بعض القصص والروايات على مدار خمسة وثلاثين عاماً أمضاها في ديوان المعارف والثقافة بمملكة (الغلابة)، حتى دنا من إتمام عقده السادس وإنهاء مدة وظيفته الحكومية.
على كرسي وكيل أول ديوان المعارف والثقافة إستدار الفيلسوف (طاهر العابد) لينظر خلفه ويتأمل عشرات الكتب قد زينت رفوف مكتبته ولم تزين عقول الكثيرين ممن أحبهم، فعاد للنظر أمامه ناكس الرأس مهموماً وباتت سماؤه مثقلة بغيوم لا يراها أحد غيره، ثم أخذ يسأل نفسه مراراً وتكراراً:

" مابال هؤلاء الناس؟! لماذا لا يتعلمون؟! متى؟ متى سيقرأون؟ متى ستصبح بلادنا مقصداً لكل باغ علم ومتأدب؟.. إلى متى سنظل بلاد تعيش بلا عقل؟! "

أنهى (طاهر) يوم عمل معتاد عائداً إلى بيته يمشي تاركاً سيارته متأملاً الطرقات وأحوال أهل المدينة لعله يجد إجابة لتساؤلات لطالما حيرته، وفي حيرة بالغة وقف يتأمل لافتة كبيرة غشيت أعين الناس وربما أفئدتهم أيضاً..
حَوَت اللافتة صورة لثلاثة فتيان يشبهون ولد وبنت وشايب (الكوتشينة)، وبجوارهم الكارت رقم واحد (الآس) إمرأة فاتنة حسناء تغوي الرجال بغمزة عينها مبرزة نهديها كطلقات الآر بي جي مصوبة نحو سراويل الرجال، وكتب عند خصرها (صوفيا)، فأمسك (طاهر) بذراع نظارته

وأمعن النظر فيما كتب بذيل اللافتة، وشرع يقرأ:

" مهرجان رأس السنة بفندق مهاويس – صاروخ الرقص الشرقي ونجوم الأغنية الشعبية الشحات وحوكة واستيكا "

إنزعج (طاهر) قليلاً قبل ان يصدم كتفه شخص يهرول إلى صندوق أسود بثلاث عجلات إنتشر منذ سنوات في شوارع المدينة كالنمل الأسود، وبدلاً من أن يعتذر إليه الشخص قفز بهمة داخل الصندوق وجلس ينظر إليه مبتسماً قبل أن ينطلق به (التوك توك) مصدراً أصواتاً صاخبة ردد معها السائق الشاب وهو ينظر إلى الفيلسوف:

" لما عم الحاج يعدي.. "

لم تكن شهرة (طاهر العابد) بين الطبقات المتعلمة والمثقفة تكفي لأن يعرفه جميع أهل المدينة، فأكثر من ثلث الشعب أميّ ولا يجيدون القراءة والكتابة ولذلك كان همه الأكبر هو أن يبعث لكل حاكم بأهمية العلم، ولكن للأسف باءت كل محاولاته بالفشل، فكل حاكم يتوج يبدأ حديثه بأهمية العلم والعلماء ثم ينشغل بدعم أواصره وتثبيت أرجل كرسيه بجنبات السلطة، وتنتابه نوبات كره للعلماء والفلاسفة والأدباء فينعتهم ببئس النعوت ويميل لمن ينشدون له المديح، ولهذا فكر (طاهر) ملياً لأن يصنع شيئاً يتفرد به ويأتي بأفضل من وعظ الناس والمكوث بينهم كالمنارة المتصدعة.

بعد أسبوع أكمل (طاهر) عقده السادس وجاء اليوم الذي ترقبه ووجف له قلبه، فقامت إدارة الديوان كعادتها بتكريم من إنتهت فترة عملهم، ونصبت له مقاماً رفيعاً داخل قاعة فسيحة ليودع منه الزملاء والأهل

والأصدقاء بكلمات أخيرة، وفي لحظات مرت كالدهر إعتلى الفيلسوف درجات منبر الخطباء وإستلم هديته التذكارية وشكر الحضور وإدارة ديوان المعارف والثقافة ثم نظر يتأمل المتثائبين قبل المستيقظين فوجه إليهم خطابه قائلا بصوت رخيم:

- إنتظرت سنوات حتى تحين تلك اللحظة التي سأعلن للناس فيها عن مفاجأة كبيرة أعددتها قبل أن أتقاعد أو يصيبني المنون.. وها قد بزغت شمس الأمل في أفق العلوم والأدب لتكشف عن غيوم الجهل.. وتذيب سحب الفقر فتمتطر عليكم السماء رغداً ويرتوي أهل بلد ظمأت والأنهار تجري من تحت أرجلهم..

سكت الجميع وخيم الصمت على القاعة الكبيرة قبل أن يستطرد (طاهر) قائلاً:

- لَكَم لبثتم تحبون متاع الدنيا وتُمنعون عنها.. وحرمتم الطيب واللذات ونالها من لا يستحقونها.. وأكلتم خشاش الأرض كالدواب والأنعام ورضيتم بإحسان أهل الربا والوزراء والمسئولين الفاسدين وأنتم الأعلون.. اليوم سأدلكم على كنز كالجبل يجعل من كل صعلوك بالمدينة ملكاً.. ويجعل المدينة مملكة.. ويجعل من المملكة أمة تسود الأمم.. إنه كنز لو علم به عدوكم لصارعكم فيه ولقاتلكم قبل أن تقوموا من مجالسكم..

حدق الجميع في وجه الفيلسوف المغادر وحسبوه قد فقد رشده متأثراً بلحظة الوداع، أو ربما سيحدثهم بحكمة تشبه الكنز في قيمتها، فآثروا السكوت وإنتظروا مزيد من كلماته لعلها تأتي بدرر تفك كربهم، ولكن

(طاهر) أنهى هواجسهم بأن رفع يده عاليا بكتاب صغير قائلاً:
- هذا هو الفصل الأول من (عين الصحراء).. إنه عنوان روايتي الأخيرة ذات الخمسة عشر فصلا.. نسجت حبكتها في أعوامٍ ومنذ شهور نسختها ثلاث مرات.. فصار منها أربع روايات بخط يدي.. إستأصلت فصولها وبعثرتها.. وتركت نسخة من كل فصل داخل إحدى مكتبات المملكة..
إلتقط (طاهر) أنفاسه مردفاً:
- تسعة وخمسون عاما إنقضت وأنا أعيش بينكم صادق العهد.. وتسع وخمسين مكتبة ستعثرون فيها على فصول الرواية.. ففتشوا أعلى الرفوف وبين الكتب وأجمعوا فصول الرواية الخمسة عشر كاملة.. ثم أقراوها بتأن وروية.. ففي كل فصل أقحمت سطراً كبيت الشعر إستهللته بكلمة (عين).. فإذا ما نظمتم الخمسة عشر بيتاً علمتم بأي بقعة يستقر الكنز العظيم.. وغدوتم أسياداً من بعد عنت وفقر وذله..
ماكاد أن ينتهي (طاهر) من خطابه حتى إنقض أحد العاملين بالديوان وأقتنص منه الفصل الأول وأخذ يقلب فيه بلهفة، وأحاط به العشرات يسألونه عن صدق ما زعم، فعلا الصخب في القاعة كما علا في المدينة بعد أن ذيع الخبر على ألسن الناس وأنتشر أهل المدينة كالجراد بين المكتبات ينهشون الكتب بحثاً عن الفصول الخمسة عشر..

لم تكن عودة (طاهر) إلى بيته بالأمر الهين في ذلك اليوم، فقد إلتف الناس من حوله ورافقوه حتى أستقر على أريكته بساحة منزله، وتركوه

بصعوبة عندما توسل إليهم أن يرتاح قليلاً، فأنصرفوا عنه كقطيع الفيّلة، وغلق (طاهر) الأبواب ثم مال إلى مضجعه ونام قليلاً قبل أن يستيقظ على نفير سيارات الاسعاف المتكرر، فأدار التلفاز ليرى ويسمع ما تبثه القنوات الاخبارية، فإذا بمذيع قناة (البردية) يقول:

- الآلاف يحتشدون ويتشاجرون أمام المكتبات بحثاً عن أجزاء رواية أشيع أنها تحمل في طياتها كنزاً..

ضغط (طاهر) بإبهامه على زر التحكم لينتقل إلى شبكة الأخبار الأجنبية ليشاهد بثاً حياً من أمام المكتبات في المدينة ويسمع المذيع يقول:

- هرج ومرج في مملكة الغلابة بعد سماع نبأ عن وجود كنز ضخم بإحدى المكتبات والمئات ينهبون ما بها من محتويات

إنتقل (طاهر) بإبهامه مرة أخرى إلى قناة (السيرة) فشاهد بثاً حياً مباشراً يغطيه شريط أحمر كتب فيه:

" مقتل العشرات على يد قوات الأمن لمنعهم من الحصول على أجزاء رواية تحوي أسرار خطيرة وشرطة المملكة تعجز عن فض التجمهر أمام المكتبات"

إنتفض (طاهر) لمقتل العشرات ثم ضغط للمرة الرابعة لينتقل إلى قناة (السيل للأخبار)، فشاهد صفحة النهر هادئة وصوت مطربة المملكة الأولى يشدو بأمجاد الوطن ولا تحمل سطور الأخبار أي شيئ عن المدينة أو المكتبات!

لم يستطع (طاهر) أن ينتقل إلى أي قناة أو شبكة إخبارية أخرى، فقد انتقل بجسده إلى ركن الغرفة محمولاً بأذرع ثلاثة رجال ملثمين وضع أحدهم (مطواة) على رقبته، وضغط الآخر بقبضة يده على فكه، بينما صاح ثالث في وجهه:

- أين الكنز؟ ستزهق روحك وتودع الدنيا إن لم تتكلم.. أين الكنز؟

ظل (طاهر) متماسكاً واجاب برباطة جأش:

- الكنز في بيوت الشعر بين فصول الرواية الخمسة عشر داخل مكتبات المدينة

إنفعل الرجل موجها لكمة قوية إلى وجه الفيلسوف صارخاً:

- أين الكنز ياإبن ال..؟

لم يهتز (طاهر) وأجاب:

- الكنز داخل فصول الرواية.. إجمعوها وأقرأوها وستعرفون مكانه.. لن أنطق بأكثر من ذلك وإن أردتم فأقتلوني فقد اكتفيت بستين عام في هذا البلد..

ساعات مضت على أنين الفيلسوف الذي سقط مغشياً عليه بعد فصول من التعذيب على يد رجال لم يكلّوا ولم يفرطوا في لحظة من دون أن يسألوه عن الكنز، حتى سمعوا أصوات شرطة المملكة تدق بوابة بيت الفيلسوف ففروا هاربين، بينما إقتحمت قوات الأمن المنزل للقبض على (طاهر) فوجته مرتمياً بين دمائه فحملته إلى سيارة الاسعاف لتنقذه ويظل سر الكنز ينبض بين ضلوعه.

في تلك الأثناء وما تلاها من ساعات عصيبة لم تغلق المكتبات ومتاجر نسخ وتصوير المستندات أبوابها، وأصبح أهل المدينة منشغلين بنسخ كل ما وقع بين أيديهم من أجزاء الرواية، وإنهمك المفسرون والمحللون والخبراء الاستراتيجيون في فك طلاسم تلك الرواية وكل ما ينكشف منها، بل وأقامت بعض القنوات الفضائية بثاً مشتركاً على مدار الأربع وعشرون ساعة يسجلون فيها بالحاسوب كل أبيات الش٠عر التي توصل إليها الشعب لحظة بلحظة، ونظَموها بدقة حتى يحلّوا هذا اللغز، وتسابقت وسائل الاعلام في ذلك وبات الجميع يتخطفون الأخبار والأوراق حتى يصلون إلى النتيجة النهائية والفوز بالوصول أولاً إلى بقعة الكنز المزعوم.

داخل بهو القصر الملكي جلس الصحفي والاعلامي الكبير ذو البشرة السمراء (مختار البكاري) في انتظار مقابلة الحاكم، وبين يديه مجموعة من الأوراق يتأملها بوجه عابس، وبين اللحظة والأخرى توافد مجموعة من المسئولين على القصر، حتى امتلأت ساحة القصر بالعديد من الشخصيات المرموقة في الدولة في إنتظار الحاكم الذي أهل عليهم بوجه يكسوه القلق فنظر إليهم من فوق منصته ثم خاطبهم قائلاُ:

- السلام عليكم.. أهلا بكم.. بالطبع أنتم تعرفون ما تمر به البلاد الآن.. ولقد دعوتكم اليوم لأناقش معكم مايحدث وأستشيركم فيما سأقرره خلال الساعات القادمة.. تفضلوا بالجلوس داخل قاعة الاجتماعات وعلى كل من يريد التحدث أن يضغط على زر مكبر الصوت (الميكروفون)..

دلف إلى قاعة الاجتماعات أكثر من ثلاثين شخصاً، وبدأ الاجتماع

بحديث الاعلامي (مختار البكاري) الذي قال بحنق شديد:

- سيدي الرئيس اسمح لي.. إن ما يحدث حالياً هي مؤامرة تحاك على شعب المملكة وجيشها الباسل.. فأعداء الأمة يختلقون المشكلات والنزاعات بين الناس عن طريق هؤلاء الشرذمة من أمثال هذا الكاتب المعتوه.. إنهم يقصدون حرب أهلية تستنزف فيها قواتنا المسلحة وتنشغل فيها قوات الأمن برأب الصدع بين الطوائف المتنازعة فتنزلق إلى نزاعات لا دخل لها بها وينتصر أصحاب المخططات والممولون من الخارج..

قاطعه السياسي المعروف (حسنين الصباح) بحدة:

- من حق كل مواطن أن يطلب وينادي بحقه في الكنز حتى وإن كان سراب.. ولا يمكن أن نسلب الأمل من شعب فقير يعيش أكثر من نصفه في فقر مدقع.. وأنا واحد من هذا الشعب أنادي بأن يتم الكشف عن الكنز وتوزيعه على المواطنين بكرامة ومحاسبة هذا الفيلسوف على كتمانه طوال السنوات الماضية

أومأ الحاكم برأسه مبتسماً ثم التفت إلى السيد وزير الداخلية متسائلاً:

- ما هو رأيك يا سيادة الوزير في هذا الكلام؟

- نحن على أهبة الاستعداد سيادتكم لأي أمر تأمرون به

إبتسم الحاكم مرة أخرى ثم نظر إلى الإعلامية (لمياء هريدي) التي تحدثت كعادتها بإبتسامة صفراء:

- سيدي الرئيس نحن في الإعلام أكثر الناس متابعة للأحداث ولشارع الغلابة.. ولهذا فأنا أرى من خلال تحليلات الموقف أنه لابد من تقديم

بلاغ إلى النائب العام ضد هذا الكاتب، ويتم استجوابه بصورة رسمية حيث أنه أضر بأمن البلاد.. وساعتها سنعرف بحقيقة هذا الكنز وسيكون للمملكة وأجهزتها المخابراتية حق التصرف فيه

لم ينطق الحاكم ببنت شفه وظل على صمته يستمع لأراء المستشارين والمسئولين وممثلي طوائف الشعب حتى علا صوت الاعلامي (وفيق شحاتة) قائلاً:

- السيد الحاكم أنا أطلب منك بصفتي فرد من أبناء هذا الشعب بسرعة التدخل وإعتقال كل أعضاء حزب الاستقلال والإنصاف حيث أنهم هم من دبروا تلك الضربة الإرهابية للوطن بالتعاون مع (حزب الإله) و(حركة همِة) وشباب (ديسمبر).. والفلاحين البسطاء ورجل الشارع ليس لهم في هذا ناقة أو جمل..

قاطعه السياسي (نائل بشار) بهدوئه المعتاد قائلاً:

- نحن لا نؤيد إعتقال أي سياسي من الأحزاب وندعم الحاكم فيما يتخذه من قرارات فنحن لا نخرج عن الحاكم حتى لا نثير الفتنة.. وفي حال تم العثور على الكنز نطالب بتشكيل لجنة لتوزيعه تضم أحد أعضاء حزب (المشكاة) الذي يمثل طائفة كبيرة من الشعب المحافظ

بعد نقاشات طويلة قرر الحاكم إنهاء الإجتماع وخرج على الناس في خطاب موجز وسريع قال فيه:

" لقد أمرنا النيابة العامة بالتحقيق فيما يحدث من إعتداءات على الأفراد ومكتبات المملكة وسيقوم مجلس النواب بتشكيل لجنة تقصي حقائق تباشر عملها من بعد غد وتقدم تقريرها قبل نهاية هذا الشهر.."

بعد خطاب الحاكم توقفت وسائل الاعلام عن مناقشة الأمر فيما إنتشرت قوات الأمن بعد إنتشار العديد من الجرائم للإستيلاء على أجزاء الرواية، حتى أن قام شاباً بإلقاء جاره من أعلى المبنى للتحصل على جزءٍ من الرواية، فتم القبض عليه كما تم القبض على مجموعة من المهاجرين غير الشرعيين وبحوزتهم بعض فصول الرواية، وبدأت النيابة العامة بالتحقيق وربط رموز هذا اللغز، فإستجوبت الفيلسوف العليل (طاهر العابد) والذي مكث طريح الفراش رافضاً البوح بأي كلمة تؤدي إلى الكنز.

و بعد إسبوع قدمت هيئة المخابرات المركزية تقريراً إلى الحاكم يفيد بأنه قد تم جمع أربعة عشر فصلاً، ونظم ما بها من أبيات شعر تبدأ بكلمة "عين"، وبقى بيت واحد فقط بالفصل الأخير لم يتم العثور عليه بالمكتبات، وهو الأهم للتأكيد على مكان الكنز، فقرأ الحاكم الأبيات بشغف شديد:

عين من الجنان سقطت وباتت هائمة في الصحراء
عين تغفو كغروب شمس وتصحو ناظرة إلى السماء
عين جفنها صخر وجبال تذرف الدمع ليلا بغير ماء
عين كُحلت بألوان الطيف والخصب والزرع فيها نماء
عين الغرب ترنو إليها والشرق يرى فيها كل بلاء

عين بالـصـحـراء تـرقـب فـحمت شطآن الأمل والرجاء

عين يسيل من جفنها دمع وبجوفها كنوز وَاراها الغرباء

عين صقر بوجـه عربـي زرقاء اليمامة ببشرة سـمـراء

عين غرق فيها سبعة أبحر وفتحت جفـها لـملوك أشـداء

عين تزينت بوادي الذهب فغازلـهـا الأطلسـي والـبـيداء

عين طـافـت بـهـا الـجـان فـوّلـوا ولم يتنفسوا الـصعداء

عين أهدابها أجمل العشب وبديع الأفنان يُساقط الأنـداء

عين بكـت من خشيـة الله فـتـفجـر من حجـارتـهـا الـماء

عين لا تـنـام مـن هـولٍ خسفت بمقلتها أطماع الضعفاء

قرأ الحاكم التقرير أكثر من مرة، ثم أمر بتجهيز الموكب لزيارة مفاجأة إلى المستشفى التي يرقد فيها الفيلسوف (طاهر العابد)، وبعد أقل من ساعة تحولت المستشفى إلى ثكنة عسكرية في إنتظار مجيئ حاكم المملكة الذي لم يتأخر وأتى على عجل، فأمر بأن توصد كل ابواب الممرات وأن يغادر الجميع غرفة الكاتب الفيلسوف ويبقيان وحدهما ولا يدخل أحد.

نظر الحاكم محدقاً في عيني الفيلسوف ثم وجه إليه سؤالاً مباغتاً:

ـ كيف عرفت بأمر الريشات؟

أجاب (طاهر) ساخراً:

ـ أتسأل وكيل ديوان المعارف والثقافة عن أمر يعلمه جهلاء الغرب.. أيها الحاكم الريشات تم اكتشافها منذ قديم الأزل..

صاح به الحاكم:

- لا تحاكي الحمقى ولا تظن بأنني مثلهم! أحدثك عن قلب الريشات.. ما أدراك به؟ ومن أخبرك؟

طأطأ (طاهر) هامته ناظراً صوب ركن الغرفة ممتنعاً عن الإجابة، فرفع الحاكم إصبعه إلى أعلى مقسماً:

- ورب العزة الذي جمعنا بتلك الغرفة وجعل الكعبة في الشرق وقلب الريشات في الغرب لو لم تنطق لأذلنك وأجعلك عبرة

نظر إليه (طاهر) بإستهزاء:

- إن أردت فأقتلني الآن.. ولكنك لن تمنع الكنز عن الناس.. سبق السيف ووطأت الرعية المكتبات.. وصارت الكتب بين أيديهم

إقترب منه الحاكم وصاح فيه:

- أيها المعتوه.. إنك تصنع بذلك فتنة كبيرة وستتسبب لنا في مشاكل مع دول أخرى لا طاقة لنا بها.. وستنكشف حيلتك في النهاية ويعرف الناس بأنه وهم ولن يتغيّر شيئ وسيرجموك بالحجارة

- لابد من تضحية حتى يتعلم الشعب ويعرف ما صار بأقوام سبقتهم.. أقوام إنصرفوا عن القراءة والعلم ففسدوا ونسوا الحق فنسيَتهم الرحمة وماتوا وهم لا يدركون فيما عاشوا ولما قتلوا..

ثم أشار إليه بسبابته:

- أنت وأبوك ومن مثلكما صنعتم الوهم والوهن وليس أنا.. شهوات السلطة تملكتكم فجعلتم من الليوث نعاج ومن النسور جرذان

إستشاط (الحاكم) غيظا ولكنه ملك زمام نفسه وإستدار متوجهاً إلى الخارج، ولكنه توقف فجأة عند باب الغرفة وسأله من جديد:

- أين أخفيت الفصل الأخير؟

أجاب الفيلسوف بإبتسامة خبيثة ومن دون أن يرفع رأسه:

- بمكتبات القصور الرئاسية

لمعت عينا (الحاكم) وسكت قليلاً، ثم توعده قائلاً:

- والله لو لم تخرج على الناس وتعلن عن كذبك وتعتذر لهم لسوف تكون نهايتك أبشع من سليمان الحلبي

إستنكر (طاهر) ما قاله ونظر له بإستهجان، بينما غادره الحاكم مسرعاً ليأمر كبير الحرس بصوت غليظ:

- بلغ وزير الداخلية أن الحاكم يريد تشكيل فرق أمنية قتالية عند الطرق والمحاور المؤدية إلى القصور الرئاسية.. وتحرك أنت بقواتك نحو أبواب القصور الرئاسية..

مكث الحاكم في قصره المهيب يتفكر ويستشير زوجته التي ألحت في سؤالها عن الكنز، فلم يجد حاكم الغلابة بَداً من إفشاء سر غاص في أعماقه طويلاً، فلف ذراعه حول كتفها وقال لها بصوت رقيق:

- زوجتي الحبيبة هذا الكاتب اللئيم يريد أن يصنع لنفسه مجداً لا يزول.. ويبدو أنه عثر على شيئ كُتب فيه سر عين الصحراء بغرب إفريقيا بالقرب من مدينة أثرية تسمى ودان

إندهشت الزوجة وقبيل أن يتحرك لسانها بسؤال جديد طلب منها الحاكم

بألاّ تتساءل وأكمل روايته قائلاً:

- هي رواية قديمة أشبه بالأسطورة ولا يعلمها إلاَّ القليل.. وقد حكاها لي أبي في سنوات ملكه الأخيرة كوصية غير مكتوبة.. وأمرني بأن أحفظ هذا السر ولا أقوله إلاّ لمن سيخلفني في الملك..

أخذ الحاكم نفساً عميقاً كاد ينهي الأكسجين بالغرفة وزفره قائلاً:

- يحكى أنه قبل أن يهبطا آدم وحواء من الجنة بأمد طويل قد جعل الله في الأرض خلقاً لا نعلمهم سُمّوا بالحِّن والبِّن.. وبنوا في الأرض مساكن وعمروها وجمعوا كنوز الأرض من فوقهم وتحت أرجلهم وصار لهم حضارة عظيمة نسوا فيه الخالق الوهاب وشاع الفساد بينهم وإستحبوا المعصية فظلموا وسفكوا الدماء.. فعاقبهم الحق بأن خلق الجان من مارج من نار وجعل لهم صفات تميزهم عن سكان الأرض ثم بعث الله الجِّن إلى الأرض يحاربونهم ويعلون كلمة الحق فغاص الجن وجال في قلب البحار ودروب ومسالك الأرض فأوقدوها من أعماقها فتمددت واذابت أجساد العصاة وهياكلهم ودفنت كنوزهم وصاروا جميعاً هباءً منثورا.. وورث الجن الأرض وأقاموا في موضع نصرهم مسجدا لله يذكرهم بما بعثوا من أجله.. ومع طول الأمد انتشرت الفتن والحروب بينهم وملأ الفساد الأرض ونسوا ما بعثوا من أجله وتحول موضع نصرهم إلى عرش ملك الفاسد قدسوه وطافوا من حوله يسترضونه من دون الله.. فعاقبهم الله بأن إستخلص المؤمنين منهم وأسكنهم جناته ثم أرسل إلى الأرض ملائكة تبيدهم وتفنيهم.. وسبحت الجبال بحمده..

تملك الذهول زوجة الحاكم وأُلجم لسانها، فأكمل زوجها:

- منذ عقود ألح سجين في طلب مقابلة جدي الحاكم الثالث ليفشي له سر خطير.. وعندما أتى إلى القصر سأل جدي أن يخلي سبيله ويحرره من السجن إن وجد في السر قدرا يرضيه.. وإعترف له بأنه يعقد السحر وأن الجان أخبرته بهذه الرواية وأن كنوز الأرض مدفونة بحفرة تسمى قلب الريشات بعين الصحراء.. لكن جدي لم يخل سبيله وأنتظر يوماً سافر فيه إلى مدينة النور وإلتقى بأحد المستكشفين الفرنسيين فحكى له تلك الرواية العجيبة.. وعلم جدي بصدق الساحر في وجود عين بالصحراء.. ولكن المستكشفين لم يجدوا أثرأ لأي كنز هناك.. ومات جدي وهو ينتظر.. وما من شيئ تم إكتشافه حتى الآن رغم التطور العلمي..

سألته الزوجة:

- ولماذا ينشر هذا المعتوه تلك القصة بين الناس؟! ومن أخبره بها؟

أجاب بضيق:

- لو علمت من أخبره لأعدمتهما سوياً.. إنه يزعم بفعلته هذه أن الشعب سيجوب *المكتبات ويفتح الكتب ويقرأ ويتعلم.. ياله من أحمق! لكم دعوناهم للتعلم والقراءة وما من مُلَب.. ألم تدشني لهم المكتبات العامة؟*

- بلى

- هم شعب يبحث عن المال والشهوات وما من حاكم في العالم يقدر على.

في تلك اللحظة تفاجأ الحاكم بكبير الحرس يطرق الباب مستأذناً للدخول،

ومن دون أن يُسمح له خطا إلى الداخل مرتبكاً والعرق يتصبب من جبهته، فبادره الحاكم:

- ما بالك؟ لماذا ينتفض جسدك؟!

- سيدي الحاكم.. جموع المواطنين هجمت على مكتبات القصور سعياً وراء الجزء الأخير من رواية الكنز.. وإندس بعض المجرمين بينهم وتسللوا إلى داخل القصور ينهبونها ويشتبكون بأسلحة ثقيلة مع قوات الأمن والحرس

صرخ في وجهه الحاكم:

- ألم آمرك بتأمين الطرق المؤدية إلى القصور

- بلى.. ولكن الجموع الغفيرة غلبت عتاد الحرس.. وتراجعت القوات بعد أن أصيب عشرات الجنود.. وأخشى أن نكون جميعاً في خطر إذا ما بقينا هنا..

تبادل الثلاثة نظرات الذهول، فقال كبير الحرس:

- سيدي.. إن طاقم الحوامة (الطائرة الهليكوبتر) ينتظر بمهبط القصر.. وفي غضون الساعة لابد أن نطير نحو ميناء العاصمة الجوي ونستقل الطائرة الملكية إلى خارج البلاد لأن قوات الحرس لن تستبسل طويلاً..

صرخت زوجة الحاكم بهلع:

- إلى أين سنذهب؟!

أجاب كبير الحرس بأسف شديد:

- إلى أي جهة يختارها سيدي الحاكم

صُبَت دلاء الثلج على رأس الحاكم فتجمدت عروقه وإرتعدت فرائصه وأخذ يتمتم بكلمات لم تستبينها زوجته، فسألته بضجر:

- ماذا تقول؟؟.. إلى أين سنذهب يا حاكم المملكة؟ لم أعد أفهم منك شيئاً!

نظر إليها الزوج كالمكلوم وأجابها مستهزءاً:

- ولن تفهمين.. لا داعي للطائرة.. قد ذهبنا من دونها.. لقد قذف بنا الكاتب الخبيث إلى قلب الريشات

ساعات تاريخية مرت على المملكة فر فيها الحاكم وزوجته وبعض من حاشيته إلى خارجها وإحتل شعب الغلابة القصور الملكية بعد أن نهبوا خيراتها، وأختاروا لهم زعامة من ممثلي الطوائف، كما فر أيضاً الكاتب الفيلسوف (طاهر العابد) إلى دولة أوروبية، ولم يُعرف مقره ولم يُعرف كيف إستدل على قصة الكنز العجيبة، وإنتهى الحال بأن عُثر على الفصل الأخير من الرواية التي طبعت آلاف المرات وترجمت إلى سبع لغات، واستطاع بعض المحللون والمفكرون أن يفكوا دلالات أبيات الشعر ويكشفوا لغز الكنز، فقد كتب الفيلسوف في البيت الخامس عشر يقول:

عينٌ كالقلب تنبضُ عدلاً أولُها راء وياء وآخرُها تاء

و لكن هذا الكشف لم يكن عظيماً ولم يؤدي إلى شيئ، فقد انتبهت الجمهورية الإسلامية الموريتانية إلى تلك الأحداث وأعلنت بأنه لا يوجد

أي كنز بقلب الريشات ولا في أي بقعة حولها، وأحاطت المنطقة بعازل أمني، وخرج الجيولوجيون في الولايات المتحدة وكندا والعديد من الدول الأوروبية ليعلنوا أن تكوين الريشات هو مجرد تركيب جيولوجي معقد ولم يُكتشَف به أي كنوز أو عناصر غريبة، وسخروا في وسائل الإعلام من شعب الغلابة الذي يتقاتل ويلهث وراء الخرافات والأساطير. *

---

* يقع قلب الريشات أو عين الصحراء بشمال صحراء موريتانيا بالقرب من مدينة وادان الأثرية وهو من أبرز المعالم الجيولوجية في موريتانيا و في إفريقيا عموما، و وفقاً لما تواردته ألسنة الأمم في متون كتب الذكر الأول أن هناك مخلوقات عاشت على الأرض بهيئة أقرب للبشر قبل وجود الإنسان والجان.

القاصرة

إنها القاصرة.. تأتيني في كل ليلة.. عشقت مضجعي حتى أغفو فأراها، فنتصافح ونتلامس، وأقبلها كما لم أقبل ثغراً قط..

لا أعلم من هي.. من بني آدم أم "جنية القارورة"؟

هي أجمل بكثيرٍ من كل الفتيات الحسناوات..

إنها حقاً فاتنة.. يا إلهي.. يكاد يذهب عقلي إفتتاناً..

قل لي.. أرشدني.. من تلك الحورية الأرضية؟ ولماذا في كل ليلة؟!

شيطانة هي أم أضغاث أحلام؟.. يبدو أنني قد جننت؟!

يصمت قليلاً بينما ينظر إليه الشيخ (محمد) ويتفحصه بعطف شديد، ثم ما يلبث حتى يستطرد الحاج (أمين) بحماسة:

- *والله رغم صغرها إلاّ أن لديها ابتسامة أجمل من شروق الشمس على صفحة اليَم، وشعر حالك السواد تباري به المهر، وقوام كالريم يتوارى خلف قميص حريري يكشف عن نور فخذيها متشحاً بزركشةٍ تمر على خصرها كخضرة المروج وأفنان يوم الحصاد بين الوديان.. ياه كم لها من عطرٍ ينسيني كل العطور والبيوت والنسمات، ويهوى بي إلى حيث لا صعود ولا حول ولا قوة ولا جاه..*

تزداد دهشة وحيرة الشيخ (محمد)، كلما أستفاض الحاج (أمين) في الوصف والنعوت، وكلما أراد أن يستوقفه رآه يتكلم وهو لا ينظر إليه، فيتركه يحكي ويحكي ويسترسل ويستفيض..

عدل الحاج (أمين) من جلسته وإرتكز على وسطه قبل أن يمسك ركبتيه بكفيه ويقول:

- الوهن في المفاصل، واليدان تنسدلان، وترتعش الأقدام.. لا أقوى عليها، فأسألها كم عمرك فتخبرني أنها إبنة السابعة عشر.. والله.. والله ثلاثة.. بحثت عنها في برامج التليفزيون والمسلسلات والأفلام، قلبت آلاف الصفحات في الكتب والمجلات، حتى ال.. الانترنت..

- وصلت للأنترنت يا حاج أمين؟!

قهقه بصوت عال قبل أن يجيب:

- أه والله.. من حوالي شهر اشتريت (كمبيوتر)..

يزيد إندهاش الشيخ (محمد) ويضرب كفاً بكف، فيربط الحاج (أمين) بيده على كتفه ويقول له بصوت خفيض:

- تصدق بالله.. لقد صرت أسير على الأرصفة أقلب بعيني بين قسمات الوجوه والنساء.. لكن هيهات هيهات..

و أسأل نفسي كيف لها وهي قاصرة أن تأتيني بكل هذه النشوة وتأسر قلبي، فما بالك إن صارت إمرأة؟!.. هل لي من ملاذ غيرها؟

ينظر إليه الشيخ برفق ثم يتمتم ببعض الكلمات قبل أن ينظر في عينيه ويقول:

- حاج أمين.. وحد الله واستغفره في سرك..

- يا شيخ.. بالله عليك أفتني.. من تلك الحسناء التي تسكن ليلي؟؟

- يا حاج اعتصم بحبل الله وامسك على دينك ولا تستسلم لشياطين الثقلان وأدعو الله أن يفرج كربك ويعافيك

- إذن فلتصرفها عني.. فقد هجرت من دونها النساء.. حتى زوجتي

زينب

- زينب؟!

- نعم.. زينب.. لسنا على ما يرام منذ أن بدأت تزورني تلك الفتاه في المنام

ينظر الشيخ (محمد) أسفل قدميه ويتمتم ببعض الكلمات ثم يقول له:

- سأرقيك وأقرأ عليك بعض الآيات.. وستصبح إن شاءالله في أحسن حال.. بسم الله الرحمن الرحيم....

صدق الله العظيم

مرت ثلاثة أيام من دون لقاء القاصرة، وعاد الحاج (أمين) للقاء زوجته ومحبوبته (زينب) من جديد، وإلتهمها بشفتيه وكأنه كان في سفرٍ بعيد، وتعجبت (زينب) للهفةٍ ظلت باهتة طيلة أسابيع مضت، تغيرت نبرة صوتها وإرتسمت الإبتسامة على صفاء وجهها، وتحركت في المنزل كالفراشة من الغرفة إلى الشرفة ومن الشرفة إلى الباب ومن الباب إلى المطبخ ومن المطبخ إلى..

و فجأة إلتفتت إليه وباغتته:

- انت بتخونني؟

إنعقدا حاجبيه وهو يجيب بتعجب مفتعل:

- ايه السؤال الغريب ده؟

- ممم.. ما غريب إلاّ الشيطاان

- ليه السؤال ده يا زينب؟

- أصلي حسّاك كده متغير شويتين الفترة اللي فاتت.. على فكرة الستات بتحس بكُل حاجة.. ماتفكروش يا رجالة انكم فهلوية

- حقيقي؟

- طبعاً.. قرون الإستشعار (مشيرة بسبابتيها أعلى رأسها مع جحوظ شديد في العينين لتشبه الحرباية في موسم التزاوج)

- طيب قوليلي بقه حسيتي بإيه؟

- إنت كنت على علاقة بواحدة وكنت مشغول بها وبتفكر في حاجة كدة.. لكن راجعت نفسك.. وتقريبا سيبتها من كام يوم.. صح؟

لاذ بالصمت قليلاً وتفحص قسمات وجهها قبل أن يجيب مداعباً:

- آه فعلا.. حتة دين بت يا زوزو.. يا سلاااام.. تمام فلقة القمر.. بس يا خسارة.. صعبت عليّ العشرة وقلت مفيش أطعم من مراتي حبيبتي.. وسيبتها لنصيبها ورجعت لأحضان الحبايب..

استشاطت (زينب) غيظاً قبل أن تصرخ:

- يا خسسساااارة!!! وليه يا عينيّه..؟؟!! ما كنت تخليك معاها.. يلا روحلها..

و بدأ الشجار اللذيذ الممتع المعتاد والذي دائما ينتهي إلى وجبة شهية ماركة "صنع إيديّه وحياة عينيه"، ثم تمتد الوجبة إلى غرفة النوم ويبدأ الفراش في الإرتجاف قبل أن يهتز بقوة ٦ ريختر، وتنطفئ الأنوار ويغشاهما الوسن.

نامت (زينب) ووجهها مبتسم، بينما استيقظ (أمين) بعد نصف الساعة

على وقع أقدام تسير في ردهة البيت، نظر بجواره فوجد (زينب) قد نامت، فملس برفق على رأسها قبل ان يحدث نفسه:

الحمدلله.. نامت.. كم هي بريئة وهي نائمة.. لكني مازلت لا أدرك النوم.. مازال عقلي يفكر.. لا أستطيع أن اصرف تلك القاصرة عن خلدي.. بل عن جسدي.. لماذا أشعر بوجودها ولا أراها.. أخاف أن تنام عيني فألقاها من جديد.. حقاً أحب أن ألقاها.. لكن لابد أن تخرج من بيتي.. من نومي.. من جسدي.. لابد أن تخرج قبل أن تدركها زينب.. يا لها من مصيبة لو علمت بأمرها زينب..

في سكون الليل وفي تمام الحادية عشر والنصف انفتح باب غرفة النوم بقوة محدثاً صوتاً أشبه بسقوطه من أعلى، وظهرت الفتاة القاصرة في المنتصف بوجه عابس، ترتدي خماراً يغلف حُسنها وعباءة لا تنحت أو تكشف عن جسدها، ويرتمي ظلها على ظلال ثلاثة اشباح لرجال إلتفوا من حولها يرتدون الجلاليب والعمائم ويمسك أحدهم بعصا غليظة وآخر يمسك بسلسلة حديدية..

إنتفض (أمين) في مضجعه وهب واقفاً وهو يرتعد:

- مين؟.. انتم مين؟ عايزين ايه؟!

نظر إليه أحد الرجال بإشمزاز قبل أن يقول بصوت أجش:

- عملت إيه في البت يا راجل يا عايب.. بقه أسلمك البت وردة ترجعهالي مدَروشِه

- انت مين وعايز إيه؟

ثم أخذ (أمين) يتمعن في وجه قائلاً:

- أنا فاكرك.. شفتك قبل كده.. انت جيت معاها قبل كده.. صح؟

ينظر إليه الثلاثة رجال بإستغراب ويتأملاه في (بيجامته) الرثة وذقنه المخضرة وعينيه الجاحظتين تحيطهما هالتان سوداوتان تشبهان غيوم ليل ممطر، ثم يقترب منه رجلان ويمسكا بمعصميه بقوه قبل أن يصيح فيه أحدهما:

- انت هتستعبط يا روح أمك.. بقه مش عارفني.. أنا أبوها

ثم يلتفت إلى الفتاه ويأمرها بصوت خشن:

- بت يا منى.. روحي بسرعة هاتي صيغتك ولمي كل الدهب وماتفوتيش قشاية..

و يلتفت للرجل الثالث ويأمره بالجلوس قائلاً:

- اقعد يا مصطفى وافتح دفترك..

ثم يرتد مرة أخرى إلى الحاج (أمين) الذي جف الدم في عروقه:

- بص بقه يا حجوج.. انت راجل كبارة ومحترم.. خلينا نلم الليلة وبلاش فضايح في الحته.. انت هتمضي على الورق ده عشان نضمن حق البت.. وكل واحد يروح لحال سبيله..

يرد (أمين) مرتجفاً:

- اللي تشوفه.. انا معنديش مانع اتجوزها وأسترها..

بس وكتاب الله هي اللي جاتلي..

- جاتلك فين؟

- *جاتلي في المنام..*

يدوي ضحك الرجال في أرجاء المكان قبل أن يقول الرجل الثاني:

- *لأ حلوة دي.. ده بينكت يابا..*

يرد الأب بقليل من الأسى:

- *لا يابني.. ده باينه بقه منخوليه زي ما البت بتقول..*

خلينا نخلص من الليلة دي.. كانت شورة سوده يوم ما سمعت كلامك وجوزتهاله

بعد نصف ساعة تقريباً أنصرفت (منى) القاصرة والثلاثة رجال، وكانت آخر كلمات الاسطى (فوزي) أبو منى:

- *إرمي عليها يمين الطلاق..*

فطلقها الحاج (أمين) وهو يرتعش ولا يقوى على شيئ، وبات في سريره إلى الفجر وهو يتفحص أرجاء الشقة خشية ظهور أي شخص آخر، حتى أذان الفجر..

ذهب الحاج (أمين) مهرولاً إلى المسجد، وما لبث أن فرغ من الصلاه حتى توجه إلى الشيخ (محمد) وقال له:

- *بركاتك يا شيخ محمد.. البت خرجت من منامي ومش راجعة تاني..*

- *بنت مين؟*

- *البت القاصر.. مش طلعت اسمها منى*

- *منى؟!*

- *أهلها زاروني في المنام وجوزوهالي وطلقوني منها في نفس الليلة..*

عشان يبقه شرعي..

يضحك ضحكة بلهاء وينتشي بالفرح.. فيسأله الشيخ محمد:

- تقصد الأسطى فوزي؟

- مظبوط.. ايه ده! انت عرفت ازاي؟!.. كرماتك يا شيخ

- وناوي علي ايه دلوقتي؟

- ولا حاجة.. هرجع البيت.. تلاقي زينب محضرة السفرة.. تعالى أفطر معانا

ينظر إليه الشيخ (محمد) بعطف شديد ويربط على كتفه ثم يهم واقفاً وينصرف عنه وهو يردد:

لا حول ولا قوة إلاّ بالله.. لا حول ولا قوة إلاّ بالله.. أللهم إهدنا وعافنا وأعفو عنا.. الله يرحمك يا ست زينب..

الله يرحمك يا ست زينب.

٥٨

الشيخ أيمن

أصيب الحاج (ربيع) بحالة من الهلع بعدما سمع صوت (عبدالغني) صديق إبنه (أيمن) يستغيث به عبر الهاتف قائلاً:

"إلحق يا حاج.. الشيخ أيمن إتصاب ونقلوه مستشفى القصر العيني"..

هرع الأب الهرِم ليستقل سيارة أجرة متوجهاً إلى (القصر العيني) ومئات من الصور تطوف بخلده كأسراب النحل،

فرمى بنفسه إلى أول سيارة (تاكسي) قابلته وجلس بجوار السائق قائلاً له:

- القصر العيني بسرعة ياسطى أحسن إبني بيموت هناك.. وهدِّيك اللي انت عايزه

تفحصه السائق بريبة، ثم إطمأن إلى لحيته وشيب شعره فتحرك بالسيارة قائلاً:

- إقفل بابك كويس يابويا..

علقت عين (ربيع) بالزحام المروري البغيض عبر الزجاج الأمامي ولم تفارق نظراته تكدس السيارات المتراصة، وإرتعشت يده اليسرى فيما أخذت اليمنى تطرق أعلى فخذه بإنتظام وكأنها تؤنبه على ترك إبنه الوحيد يذهب، فشرد بخلده قليلاً فيما قد حدث، ثم مضى في شروده حتى عاد إلى الوراء إلى قبل خمسة عقود..

حينما بكى (أيمن) الرضيع بكاءً إختلف عن ذي قبل، وإختلطت عبراته بنحيب حار أسقط قطعة الخبز من فم أبيه (ربيع) الذي هب ينفض بقايا الطعام عن جلبابه متوجهاً صوبه ليمسح لآلئ جفنه التي تناثرت، ويداعبه ويدغدغه برفق إلى أن يأتى صوت أمه (سعاد) تهرول من طرف الغرفة

المقابلة لتخطف رضيعها بلهفة وتضمه إلى صدرها قائلة:

- أيمن حبيبي.. معلش إتأخرت عليك

بقي (ربيع) يحدق في وجه الرضيع دون أن ينطق ببنت شفه، فسألته الأم متعجبة:

- إيه.. مالك يا ربيع؟ بتبص للواد كده ليه؟!

بدا الأب حائراً، وإستدار عائداً إلى مائدة الطعام ثم قال بصوت يشوبه القلق:

- حاولي متتأخريش عليه كتير عشان شكله ملهوف عليكِ..

توقفت السيارة الأجرة التي تقل (ربيع) وتوقف معها شروده حين صاح السائق:

- ولاد الكلب بتوع المظاهرات دول خربوا البلد ووقفوا حالنا.. ربنا يحرقهم بجاز وسخ..

نظر إليه (ربيع) بإشمئزاز وقال له بضيق:

- ليه يابني كده؟! ماتشتمش حد.. دول ولاد ناس ماتعرفش ظروفهم إيه.. و إبني أيمن ممكن يكون في وسطيهم بيتظاهر عشان يجيب حقي وحقك

بدت علامات الخجل على السائق الذي أجاب مبرراً:

- ماتآخذنيش يا عم الحج بس إحنا بقالنا بيجي سنة والحالة ضنك ولا عارفين نشتغل.. وورانا إبقاق مفتوحة.. وبنصحى من صباحية ربنا دايرين في الشوارع لآخر الليل عشان نأكل عيالنا وبيوتنا ماتتخربش.. والحال زي ماأنت شايف كده.. كل يوم مظاهرات وشوارع مقفلة

والبلطجية مش سايبنا فحالنا..

إمتعض (ربيع) فسد أذنيه بغشاء رقيق من اللامبالاه وشرد من جديد ليعود إلى الماضي ويتذكر صباح اليوم التالي من نحيب (أيمن) الغريب، حينما إنهمك في رص الصناديق بمخزن (صيدناوي)، وأتاه أخوه (سيد) في زيارة غير معتادة تتساقط نفسه غماً وأسفاً، فبادره (ربيع) بالسؤال:

- خير..مالك يا سيد بتنهج ليه؟ فيه إيه؟!

أسبل (سيد) عبرة حارة، ثم نطق بصوت متهدج:

- البقية في حياتك ياأخويا.. أم أيمن تعيش انت..

خمسون سنة مرت على تلك الفاجعة التي أصابت (ربيع) بشيخوخة مبكرة بعدما قرعت ساحته الأحزان، وأذاب الغم لفائف قلبه وبان الكمد في غرته وغطى أطراف لحيته التي أطلقها كما أطلق العنان لعبراته عند كل ليلة تذكر فيها زوجته (سعاد) التى واراها الثرى، وتركت له (أيمن) الذي كبُر طفلاً جميلاً محبوباً فألحقه (ربيع) بالمعهد الأزهري ليمضِيَ يتحسس أولى خطواته في إبتغاء العلم وتحصيل علوم الدين، وسعَد الأب لتقدم طفله في الدراسة الإبتدائية وإشادة المعلمين بنباهته وسرعة حفظه للقرآن حتى جاء اليوم الذي سمع فيه صوت (أيمن) يرتل القرآن كما يرتله كبار الشيوخ، فإنشرح صدر الأب وجلس بالقرب من الغرفة يلقي إليه السمع مغمضاً عينيه في سكينة..

علا صوت السائق:

- يا حاج.. رحت فين يا حاج؟

إنتبه إليه (ربيع) ثم أجاب:

- معلش يابني.. سرحت مع صوت الشيخ المنشاوي في الراديو.. أصله بيفكرني بصوت أيمن إبني..
- هو إبنك مقرئ يا حاج؟
- إبني أستاذ دكتور في جامعة الأزهر وإمام جامع الشهيد.. وبسم الله ماشاء الله ربنا وهبه حلاوة في الصوت وخشوع في تلاوة القرآن..
ده حتى له تسجيلات على الراديو والانترنت
- ماشاء الله يا حاج ربنا يحفظهولك.. هو أسمه إيه؟
- الشيخ أيمن ربيع..
- أيوة أيوة.. أنا تقريباً سمعته قبل كده.. مش ده الشيخ ال..
و أستمر السائق يزيد من ثرثرته، بينما شرد (ربيع) مرة أخرى ناظراً إلى الأدخنة المتصاعدة من بين الجموع والتي ذكرته بحادثة حريق الجيران حينما كان ولده (أيمن) طفلاً وشرع في قراءة إحدى آيات سورة (البروج)، ثم سكت فجأة وتحشرج صوته وسمعه ينتحب، فتعجب من تأثره بالآيات، وسأل نفسه:
هل يمكن أن يكون الطفل قد عقل الآيات في ذلك السن الصغير؟!
لم يلبث كثيراً، ودلف إلى الغرفة ليرى (أيمن) وقد سحت جفونه وسالت غروبه، فدنا منه يهدئ من وجف قلبه قائلاً:
- أيمن حبيبي.. بتعيط ليه يابني؟
أجاب أيمن بأنفاس متقطعة:
- هيتحرقوا في النار..
إبتسم الأب وقال:

- يا حبيبي ما هو لازم يكون فيه عقاب للناس إللي بتعصي ربنا في الدنيا.. أما بقه الناس الكويسة ال..

لم يكد يتم الأب كلماته حتى سمع صخب شديد وصراخ حول البيت، فترك الإبن وتوجه إلى النافذة يفتحها فإذا بالجيران في البيت المقابل يستغيثون:

- إلحقونا.. البيت بيولع.. إلحقونا.. العيال هتموت..

أصاب الهلع (ربيع) وإنطلق نحو بيت الجيران حاملاً دلواً مليئ بالماء، وإنخرط بين الأهالي يلقي كل ما طالته يديه من ماء ورمال، وسارع الجميع بشتى الطرق لإنقاذ أهل البيت المحترق إلاّ أن محاولاتهم باءت بالفشل وإحترق البيت، وبات جيران الشارع على الرصيف المقابل وقد فاضوا عرقاً يتجرعون غصص الكرب ويراقبون رجال الإطفاء والإنقاذ المدني وهم يحاولون إجلاء أي فرد يعثر عليه حياً.

نظر (ربيع) بجواره فوجد (أيمن) على بعد أمتار قليلة يبكي وينتفض جسده وحيداً، فذهب إليه يحتضنه إلاّ أن (أيمن) دفعه بيديه قائلاً:

- إنقذ نور.. نور على السرير بتعيط

بدهشة سألة الأب:

- نور مين؟

- نور البيبي الصغيّرة.. بتعيط على السرير فوق هناك..

و أشار بسبابته إلى الجانب الغربي من المنزل.

لم يفكر (ربيع) طويلاً في الأمر وهرول إلى رجل الإطفاء وأبلغه بأنه ربما تكون هناك رضيعة بالجانب الغربي، فقام الرجل بإبلاغ زملائه من

خلال جهاز اللاسلكي، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها..

أقل من دقيقة إستغرقها تلقى رجل الإطفاء رسالة صوتية على جهازه اللاسلكي بالعثور على رضيعة حية، وفي ثوانٍ معدودة خرج من المنزل أحد رجال الإطفاء حاملاً إياها وسط إحتفاء الجيران، حينئذ نظر (ربيع) إلى (أيمن) بدهشة وريبة، ثم سار إليه وشده من ساعده ليرافقه إلى المنزل..

ما لبثا أن إستقرا على الأريكة حتى قال الأب:

- شاطر يا أيمن.. رجالة المطافي انقذوا البيبي.. نور.. مش إسمها نور برضه؟

أومأ (أيمن) بالإيجاب، فعاد الأب ليسأله برفق:

- بس انت عرفت إزاي إن فيه بنوته جميلة فوق وإسمها نور؟

أجاب (أيمن) بطلاقة الأطفال:

- ماهو أنا شفتهم كلهم وهم بيتحرقوا والبنت كانت بتعَّيط على السرير..

تفاقمت دهشة (ربيع) وتبدل لون وجه، فعاد ليسأله من جديد:

- شفتهم فين وإزاي؟!

أجاب (أيمن) بصوته الرقيق:

- وأنا بقرأ القرآن.. الآية تسعة سورة البروج.. لألأ.. الآية رقم عشرة..

و أخذ يرتل:

" بسم الله الرحمن الرحيم.. إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ.. صدق الله العظيم "..

شفتهم كلهم وهم بيتحرقوا في النار ما عدا نور كانت بتعّيط لوحدها في

السرير وبتنادي على مامتها..

شهق (ربيع) ولمعت عيناه وردد:

- لا حول ولا قوة إلاّبالله.. لا حول ولا قوة إلاّ بالله.. سلام قولا من رب رحيم.. لا إله إلا الله.. الله اكبر..

ثم حدق في مقلتي (أيمن) وأمسك بمعصميه سائلاً إياه بشغف شديد:

- انت شفت حاجات زي دي قبل كده؟

- كتيييير..

- شفت ايه؟

- بشوف حاجات عجيبة وأنا نايم بس مش بفهمها.. وساعات وأنا بقرأ القرآن أو بصلي مع أصحابي في المدرسة بشوف حاجات

- شفت إيه؟

- مرة شفت عصفورة شايلة قش صغير بين شفايفها وبتحطه فوق الشجرة.. ومرة شفت إيد عم (كارم) بتعيط وزعلانة عشان إيده التانية سابتها لوحدها وراحت الجنة.. ومرة شفت أستاذ محمد وهو بيتزحلق وبيقع على السلم ورجليه إنكسرت وقعد يصرخ ويقول آه إلحقوني..

ثم ضحك (أيمن) بقهقهات طفولية متقطعة وقال:

- وشفتك يا بابا فرحان وأنت قاعد على الكنبة برة القوضة بتسمعني وأنا بحفظ القرآن..

ربط على كتفه الأب قائلاً:

- أيمن حبيبي.. لو شفت أي حاجة تاني قوللي وماتستناش.. وأوعاك

تحكي لأي حد غيري عن اللي بتشوفه..
أومأ (أيمن) بالإيجاب وعلى وجه إبتسامة رضا ثم أسند رأسه على صدر أبيه..
داخل السيارة الأجرة لاحظ (ربيع) مرور العديد من سيارات الإسعاف مسرعة من الجانب الآخر للطريق ويعلو معها صوت نفير السيارات، فوجف قلبه وأخذ يتمتم:
- يا ستار يا رب.. يا لطيف يا رب.. ألطف بنا فيما جرت به مقادير الأمور.. يا ستار يا رب..
نظر السائق إلى (ربيع) بأسى ثم قال:
- إتطمن يا حاج إن شاءالله خير وإبنك الشيخ ربنا هيحفظه ويسلمه من أي أذى نظر إليه (ربيع) وقلبه يرجف ثم قال:
- أنت ماتعرفش ايمن ده إيه بالنسبالي.. أيمن ده مش بس إبني.. ده إبني وصاحبي وحبيبي.. ده حتى الناس بتحبه جدا.. وبيستنوه يؤذن كل فجر وعشاء في الجامع الكبير.. رمضان ما بيقاش رمضان من غير دروسه في المسجد وترتيله في التهجد.. دكتور أيمن صاحب علم وفضل.. عالم تقي زاهد لا يهمه جاه ولا منصب ولا شهرة.. يموت على كلمة الحق.. رجليه زارت معظم مساجد مصر.. وبرة مصر.. أيمن هو إبني الصالح إللي طلعت به من الدنيا.. وهو أبو حفيدتي تُقى..
تأثر السائق لنبرة صوته فسكت للمرة الأولى، وضغط على زر (الراديو) ليغير القناة ويسمع الأخبار، بينما لم يسكت الأب واستطرد قائلاً:
- أيمن نزل ميدان التحرير من أول يوم.. قال للفساد لأ وقال للظلم لأ..

بيصلي بشباب البلد ويوعظهم.. لا بيهمه عمره ولا مكانته.. وأول ما الفجرة المتجبرين قالوا هنرجع تاني نحكمكم.. قالهم على جثثنا.. وخطب في الشباب وكل الناس وقال بعلو صوته..

"من أراد المفاخر، فلن يرضى بالصف الآخر"

زاد الازدحام المروري وزاد معه قلق الأب الذي عاد برأسه إلى الوراء مغمضاً عينيه في محاولة أخيرة لدرء آلام انتظار الأقدار، فغاص في ذكريات ليلة بكى فيها (أيمن) في الصف الأول بصلاة العشاء عندما سمع الإمام يتلو:

بسم الله الرحمن الرحيم .. " وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " ..

صدق الله العظيم (سورة النور - الآية رقم ٣٢)

فسأله الأب بعد الصلاة:

- شايفك إتأثرت بآية النكاح.. عايز تتجوز تاني ولا إيه؟

- والله يا والدي هي آية ماسمعتش حد بكى فيها من قبلي.. آية عظيمة بتأمرنا بأسمى العلاقات.. لكن بفضل الله شفت بنت من تلامذتي بتبكي من ضيق الحال وللأسف واضح إن فيه شاب صالح عايز يتجوزها وهي مياله له والأمر متوقف على المال.. فبكيت لما شفت حالها وحال غيرها عايزين يتحصنّوا لكن الظروف المادية والإجتماعية بتمنعهم.. وبصراحة أنا قررت أمتثل لأمر الله

- إيه ناوي تعمل إيه؟.. هتتجوزها؟!

إبتسم (أيمن) قبل أن يقول:

- دي كانت أم تُقى تصور فيها قتيل.. أنا قررت أساعدها بمبلغ كسبته من عملي ومش محتاجه اليومين دول..

و قبل أن يصلي عصر اليوم التالي قام الشيخ (أيمن) بتقديم مساعدة مالية قدرها خمسة آلاف جنيه لإتمام الزواج، وتزوجت الفتاه وشهد الشيخ (أيمن) على عقد قرانها.

توقف السائق بسيارته الأجرة عند جانب الطريق وقال:

- أبويا.. الشارع ده الداخلية عاملة فيه حاجز وسداه بالحجارة ومش هقدر أخش أكتر من كده.. هتتمشى شوية هتلاقي القصر العيني على إيدك الشمال..

سكت (ربيع) قليلاً قبل أن يسأل:

- عايز كام؟

- إللي تجيبه يا حاج.. ربنا يعينك عاللي انت فيه..

إرتضى السائق بعشرين جنيها وتحرك بسيارته مسرعاً وكأنه يفر من شيئ ما، وتحركا ساقا (ربيع) الهرمتين لتسوقه إلى ضالته وسط عشرات من الأشخاص وعشرات من المشاهد جالت برأسه وجعلته كالأسير يسير وسط الألغام على دقات طبول تصرخ في أذنيه بكلمات رددها (أيمن) منذ أسابيع قليلة، وكلما إقترب منه أحس وكأن تلك الطبول تزيد من صراخها في أذنيه لتردد بصوت إبنه:

" أرى الشهادة قرب ميدان التحرير.. أرى الشهادة قرب ميدان التحرير "

وصل الأب إلى حيث يرقد إبنه المصاب بالمستشفى، فدنا منه ليكشف

عن صدره العاري إلاّ من رباط أبيض تخضب بدماء حمراء، ورأى عيني (أيمن) وقد أغمضتا والإبتسامة تعلو وجهاً مطمئن وكأنه نام على ما أسره، فإلتفت لمن حوله يسألهم:

- أيمن نايم ليه؟ إيه اللي حصل؟

ربط أحد الأشخاص على كتفه مجيباً:

- يا حاج إنت إنسان مؤمن والمؤمن راض بقضاء الله.. الشيخ أيمن كان واقف بطل في وسطنا وإنضرب بالنار عشان قال كلمة حق.. واللي ضربه جري ومالحقناش نمسكه..

نظر الأب إلى (عبدالغني) صديق إبنه الذي نحا بشقه الأيمن إلى الزاوية يبكي فسأله:

- قتلوا أيمن يا عبد الغني؟

إنهمرت الدموع من عيني (عبدالغني) ودفن رأسه بين كفيه ولم يجب، فإقترب أحد الأشخاص من الأب وقال له

- أنا واحد من اللي شالوا الشيخ أيمن لحد المستشفى.. إبنك يا حاج بطل ووشه كان بيضحك طول الوقت وكأنه شايف الجنة.. إبنك شهيد حي مع الملايكة في الجنة يا حاج

إقترب منه شخص آخر وقال بإنفعال:

- حق إبنك مش هيروح هدر.. الشيخ أيمن كان دايما يقولنا

"مهما بلغت قوة الظالم فإن المظلوم سينتصر ولو بعد حين *

لو فاكرين إنهم قتلوا الشيخ أيمن.. الشيخ ايمن ماماتش.. كلنا الشيخ أيمن.. كلنا ولادك يا حاج ربيع

نظر (ربيع) لمن حوله بذهول، ثم إحتضن الأب الهَرِم إبنه الدكتور والشيخ الجليل، وبكى بكاء حاراً وفاضت عيناه على صدره عبرات غسّلت صدره المصاب، وأخذ يردد:

- *لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.. حسبي الله ونعم الوكيل*

ثم ردد بصوت متحشرج:

وربِّ الضُّحى والليلِ يَسجُو ويَغشى
لَسوفَ يُرَضِّيكَ الإلهُ ويَرضـــــــى
فكـم مَـرّةٍ أَغنـى الإلــهُ وأَقـــنـى
فَسَلِّم لهُ الأَقدارَ تَنجُو وتَرضـــــى *

---

* الأقوال والشعر من خطب إمام ثوار ميدان التحرير الشيخ المُلهِم عماد عفت رحمه الله والذي قُتل في أحداث مجلس الوزراء .

رضا القاتل

شد سحَّاب (سوستة) الجاكيت الرياضي فوق سترته الواقية، ومد يده خلف ظهره يتحسس وضعية سلاحه، ثم دلف إلى خارج غرفة النوم متوجهاً صوب باب المنزل، لم يلتفت لذبيحته وإكتفى بما رآه من هالات رعب وفزع وما سمعه من صرخات ألم ...

فقط إستوقفه إنعكاس صورته عند مرآة المدخل الأنيقة وأَثَر بعض الدماء على رقبته، فأخرج من جيبه قطعة منديل ورقية ومسح رقبته ووجنتيه كالنساء يزيل أثار مساحيق التجميل، ولكن وجهه العابس ضايقه قليلاً فابتسم ابتسامة ساخرة قبل أن يغادر مسرحاً مخضب بالدماء.

استغرق وصول (رضا) إلى بيته بحدائق الاهرام حوالي ساعة ونصف، قام خلالها بالمرور على المهندس (حازم) في مكتبه بميدان الجيزة ليتسلم حقيبة تحوي سبعين ألف جنيه، هي كل ما تبقى له من أتعاب مهمة قتل (وائل سالم) مصمم الأزياء المعروف، وبهذه الحقيبة تحصل (رضا) على جزء كبير من ثمن سيارته اليابانية الجديدة وألغى فكرته بالتقسيط مع أحد البنوك، وكعادته في تملق أولياء نعمته شكر المهندس (حازم) بحرارة شديدة قائلاً له:

- *ألف شكر يا هندسة*

فرد (حازم) بإبتسامتة يشوبها بعض الوقار:

- *العفو يا رضا.. ومن بكرة هيطلع قرار بترقيتك لمدير عمليات الشركة*

- *ده كتير عليَّ يا هندسة.. أنا كفاية عليَّ إني أنول رضا سعادتك*

- ..

- ..

لم يكن (رضا) شغوفاً أو مولعاً بالترقي وتولي المناصب في شركته بقدر شغفه وولعه بشراء وتغيير السيارات كلما واتته الفرصة لذلك، ومنذ أن إشترى أول سيارة خاصة له من سوق (العاشر) وهو يشتري ويبيع على مدار أكثر من ثلاث سنوات طمعاً في أن يمتلك سيارة العميد (رائف) التي كان يقودها له كراهية، أو سيارة (حامد باشا) الفارهة التي ظل يعمل سائقا لها لأربع سنوات قبل أن ينعم عليه بوظيفة محترمة بإحدى شركات الأمن الكبرى، والآن وبعد أن تغيرت أحواله وطالت طموحاته لم يعد يكفيه سيارة عادية وبات يتاجر في السيارات ويستبدل حتى إمتلك سيارة تشبه ما كان يقودها للعميد (رائف) منذ سنوات، فينطلق بها كالمجنون في شوارع القاهرة ويمر أمام كل مبنى انتظر أسفله يوماً ما ويتذكر حينما كان يفتح الأبواب لمالكها أو زوجته أو أولاده.

جلس (رضا) على أريكته المريحة مرخياً قدميه على الطاولة وأشعل سيجارته منتشياً بما ظفر، ثم غاص في ذكريات أول مرة تسبب في إزهاق روح إنسان عن غير قصد..
كانت سيدة مسنة تعبر الطريق وحدها ليلاً، وكان (رضا سواق الباشا) يقود السيارة مسرعاً فرحاً بالمحرك القوي لسيارة رجل الأعمال (حامد أبوزيد)، ولم يرها أو ينتبه لها إلاّ بعدما إرتقى جسدها أعلى السيارة وهوت جثة هامدة على بعد أمتار، لم يتوقف حينها إلاّ لحظات وانطلق بأقصى سرعة فاراً قبل أن يمسك به أحد أو تقبض روحه أيادي من يعرفها، ومكث يترقب ساعات وأيام قام فيها برد هيكل السيارة وتغيير

زجاجها الأمامي، إلى أن إستعلم من أحبائه في قسم الشرطة بأن السيدة قد ماتت وأن الشاهد على الحادث لم يتبيَّن أرقام اللوحة المعدنية للسيارة وأن أحداً لا يستطيع الاشتباه في سيارته التي يقودها لملكيتها لأحد رجال الأعمال المرموقين، وفي النهاية قُيدت ضد مجهول وإحتسب أهل السيدة و"منه لله إللي كان السبب"..

و مرت الأيام وشرع (رضا) في صيام شهرين متتابعين ولكنه لم يكمل، وتغيرت السيارة الشؤم وقاد سيارة جديدة متناسياً ما حدث، وإستمرت حياته بصورة طبيعية حتى جاء اليوم الذي توهجت فيه ثورة يناير ٢٠١١، وتحديداً يوم الجمعة الثامن والعشرون، فبعد صلاة الجمعة رأى جموع الناس تخرج من الجامع الكبير وتتدفق نحو الميادين وأقسام الشرطة، ففكر (رضا) في أن يذهب في إتجاه القسم الذي يعمل فيه العميد (رائف).

كاد الفضول أن يقتله ليعرف مصير ذلك الرجل البغيض الذي سخره لخدمته سنوات، وبالفعل قام بإقتحام القسم وسط جموع الثائرين الذين هوى بعضهم بفعل الطلقات النارية فغلى جوف ذويهم وتمزعوا من الحنق وطار طائرهم فهجموا كقطيع الثيران الهائجة ليكسروا أبواب السجون (الزنازين) ويسرقوا وينهبوا كل شيئ، ثم أحرقوا المكاتب بما فيها من أوراق وملفات، وشاركهم (رضا) ذلك حتى وصل إلى مكتب العميد (رائف)..

حينما رآه (رائف) إستغاث به، ولكن (رضا) لم يكن رائفاً وفي وهلة تذكر كل أمر غليظ أو إهانة وجهها إليه، فوكزه وقضى عليه قائلاً:

"يلا يابن ال.. عامل فيها غلبان.. ياولاد ال.. ياما طلعتوا... أبونا" ،

ثم ترك جسده للنعال تطأها وفر هارباً وقلبه يخفق فرحاً ويصرخ:

" الشعب يريد.. إسقاط النظام.. الشعب يريد.. اسقاط النظام"

و منذ هذا اليوم لم يعد ضمير (رضا) يستيقظ على صراخ أو نواح وبات يتمنى لو تظل الحراب والسيوف بيد كل إنسان ليقتص بها من كل ذي منصب وجاه.

نام (رضا) كذئبٍ برئ بينما لم ينم المهندس (حازم غندور) صاحب أحد أكبر معارض السيارات بالمهندسين وشريك في شركة كبرى لخدمات الأمن والحراسة، فقد كانت سعادته بالغة بمقتل (وائل سالم)، وكان يتوق للحظة التي ستعرف فيها زوجته (سارة) خبر مقتله، فنظر إلى ساعته وقرر أن يغادر فورا إلى بيته..

غشيت (سارة) جسدها بثوب أبيض حريري فضفاض يشف عن بياض فخذيها وجلست تصارع الوسن أمام التلفاز، فدنا من خلفها (حازم) مسدلاً كفه على كتفها برفق واضعاً قبلة حانية على وجنتها هامساً في أذنها:

- *حبيبتي.. مش نصحي بقه..*

تكاسلت (سارة) وأشاحت بيدها قائلة بعينين مقفلتين:

- سيبني شوية.. حد قالك تيجي متأخر

إبتسم (حازم) ثم قال:

- الشغل يا حبيبتي هو اللي بيخليني أتأخر عليكِ..

و قام بحملها ومضى بها إلى غرفة النوم..

في الصباح وعلى غير المعتاد استيقظت (سارة) على صوت أحد مذيعي نشرات الأخبار، فنظرت بجوارها فلم تجد (حازم)، فهبت مسرعة إلى خارج الغرفة تفتش عنه حتى سمعت خرير الماء يصدر من دورة المياه، فتنفست الصعداء وعادت إلى فراشها من جديد قبل أن تهب فزعة مرة أخرى حينما سمعت أحد مقدمي البرامج يذيع نبأ مقتل مصمم الأزياء (وائل سالم) بشقته في المهندسين، فوجف قلبها واقشعر بدنها وسالت الدموع من عينيها، ودفنت رأسها بين ركبتيها، وغابت عن الدنيا لحظات حتى انتبهت لصوت (حازم) يقول:

- مالك يا حبيبتي؟!

رفعت (سارة) رأسها والدموع تنهمر من عينيها وقالت بصوت متقطع:

- وائل اتقتل في شقته.. وائل سالم يا حازم..

- آه عرفت.. الترزي.. قصدي مصمم الازياء.. سمعت الخبر الصبح.. حاجة فعلاً محزنة..

ربط (حازم) على كتفها مردفاً:

- معلش يا حبيبتي.. جرايم القتل اليومين دول بقت كتير قوي.. مش عارف إيه إللي بيحصل في البلد ده!

(سارة) بصوت مرتعش:

- إنت عرفت إتقتل ازاي؟! المذيع بيقول إن إللي قتله قطع جسمه ومثّل بجثته كأنه بينتقم!

- حاجة بشعة فعلاً.. تلاقيها واحدة ست من إللي كان بيعمل علاقات معاهم وإنتقمت منه.. ما هو كان عامل نفسه دنجوان والمثل بيقول

Cherchez la femme

- الصور المعروضة بشعة جدا يا حازم.. وائل ما يستاهلش كده.. ده كان طيب جدا.. ست شكلها إيه دي اللي ممكن تعمل فيه كده!

إقتضب (حازم) ونظر إليها بحدة ثم قال:

- إنتِ واجعة قلبك ليه؟! هو كان من بقيت أهلنا! ده مجرد واحد عملك فستانين.. وواضح إنه مش تمام عشان كده مات موتة تشبهه

سكتت (سارة) واكتفت بنظرات معاتبة رمقته بها، بينما إلتفت (حازم) إلى المرآة يعطر نفسه ويسوي شعر شاربه بهدوء غير مكترث بها.

مساء نفس اليوم وداخل البهو الرئيسي لأحد الفنادق الكبرى على ضفاف النيل..

ترك (حامد أبوزيد) حرسه الخاص وتقدم خطوات في إتجاه رجل الأعمال الخليجي (مهدي عبده) والذي انتظره وحيداً بالبار الرئيسي للفندق، وكان يبدو عليه بعض علامات القلق إلاّ أن قلقه تبدد بمجرد أن رأى (حامد) يطل عليه مبتسماً قائلاً له:

- لك وحشة واللهِ يا شيخ مهدي.. منور مصر والدنيا كلها

- مصر منورة بأهلها.. أنت بَعَد لك وحشة.. جولي إيش سويت في الموضوع هذا؟

أخفض (حامد) من نبرة صوته وقال:

- إنت ماشوفتش جرايد انهاردة ولا ايه؟! طيب بلاش الجرايد.. ماشفتش البرامج الاخبارية والحوارية؟!

ثم ضحك (حامد) واستطرد قائلاً:

- الناس ماوراهاش حاجة غير سيرته.. ده بقه قضية رأي عام.. عاملينه سوزان تميم

- أهم شَيّ.. ما أبغى إسم زوجتي ولا سيرَتها بأي مكان..

- يا شيخ حامد إتطمن خالص.. هو فين وزوجتك فين.. إنت بس ماتخليهاش تقعد في مصر الفترة دي لحد ما الأمور تهدا

- أنا رَحَّلتها على لندن.. و والله راح أقتلها عاللي سوته مع الهلفوت هذا من وراي

- يا شيخ هدي أعصابك.. هي برضه صغيرة وطايشة ومتربية طول عمرها في أوروبا وعوايدها مختلفة.. وإنت بتقول ماكانتش واعية ولا عارفة بتعمل ايه

- جولتلها دشليون مرة ما تفرطِ في الشرب عاد وترى هاذولا شباب مصر أباليس وما يصدجوا يشوفون مَراه زينة وحلوة حتى يبوا يتعرفون عليها ويسووا علاقة معها

- يا شيخ مهدي اللي حصل حصل وصاحبنا أخد جزاؤه.. ومابقاش

موجود في الدنيا وإسبوعين تلاتة وكله هيتنسي

إعتدل (مهدي) في جلسته مبدياً بعض علامات الإرتياح ثم قال:

- والله يا حامد ترى النسوان كتير ويبوسون نِعالي حتى ينولون الرضا.. لكن ما أدري ليش بعشق هاذي الحية وأرضى عنها مهما سَوَت

ضحك (حامد) قائلاً:

- للناس فيما يعشقون مذاهبُ.. المهم إني أكون أنا اللي نلت الرضا

حدق (مهدي) في وجه (حامد) قبل أن يبتسم قائلاً:

- ولو بو حامد.. راضي وراح تشوف رضاي إيش بيسوي لك بَعِد.. وأوَلها.. راح مَوَّلَك شركاتك بسبع ملايين دولار.. ومن باكر توكيل الملابس راح يصير صُوبَك

إبتهج (حامد) وتهللت أساريره ورفع صوته مخاطباً (البارمان):

- إزازة كريستال هنا (Cristal Champagne)..

ثم أخرج هاتفه المحمول وضغط على إسم (حازم غندور):

- ألو.. بشمهندس حازم.. ازيك.. بكرة عايزك تيجي تقابلني في المكتب الساعة عشرة..

- تأمر يا حامد باشا..من بدري هكون عندك..

- وصلك الترانسفير على الحساب؟

- يا حامد باشا مفيش داعي.. جمايلك علينا كتير.. إحنا كفاية علينا ننول رضا سعادتك

-..

-..

كان (رضا) يعلم بأنه ليس إلاّ قاتل مأجور وأن جنته في الدنيا وأن السنوات تمر وستخور قواه وسيصبح يوما كالأسفنجة البالية، أو ربما سوء الحظ يلقي به داخل السجن ويُعدَم، أو ربما يُقتل.. كلها مصائر سيئة تنتظره بعد حين، لكن الحاضر بين يديه، فكان لابد من إستثماره وجني الثمار سريعاً، وما صار كرسي (حازم بيه) ببعيد، ولن يبقى شخص على حاله ولن يرضى (رضا) بأن يبلى كقطعة معدنية صدأة..

شهر جلس (رضا) خلف طاولة عريضة كأحد أعضاء لجنة من مديري شركة الخدمات الأمنية لتقييم بعض المتقدمين الجدد لشغل وظائف بالشركة وإختيار أفضلهم للتعيين، وأثناء المقابلات إستوقفه شاب كلما أجاب على سؤال ذيّل إجاباته بجملة

"*أهم شيئ رضا العميل ورضا سعادتكم* ".

و نظراً لضعف مؤهلاته وقلة خبرته فقد هَمّ أعضاء اللجنة برفضه إلاّ أن (رضا) أرجأ قرار اللجنة وسأله بفضول:

- *انت كاتب انك بتعرف تسوق..اتعلمت السواقة فين؟*
- *اتعلمت في فترة التجنيد*
- *سقت كتير؟*
- *أنا كنت بخدم مع سيد بيه الرفاعي*

- *مدير الأمن؟*
- *أيوة هو.. بس وقتها كان لساه عميد*

إبتسم (رضا) إبتسامة لم يفهمها أحد ثم قال لبقية اللجنة:

- *لو مش هتقبلوه عندكم أنا هاخده في إدارة العمليات عندي*

إندهش أعضاء اللجنة وأعلنوا رفضهم قبول الشاب، بينما أصر (رضا) على قبوله بإدارته التي يرأسها، وبالفعل تم تعيينه وسط تعجب وإستنكار الجميع لإصراره.

في نهاية اليوم وأمام مدخل الشركة تفاجأ (رضا) بالشاب نفسه يهرول إليه ويجذب الحقيبة من يده قائلاً:

- *عنك يا فندم.. أنا هوصلهالك للعربية*
- *شكراً.. أنا هشيلها.. مش لازم*
- *إزاي بس يا فندم.. ده أنا مبسوط جدا إني إتعينت في الشركة وسعادتك هتبقه مديري*

تبسم إليه (رضا) قائلاً:

- *حاول بقه تثبت وجودك وتشرفني قصاد الشركة*
- *يا فندم بكرة هتشوف ومش هتندم على اختيارك.. ده أهم حاجة اني أنول رضا سعادتك*

خلع (رضا) نظارته الشمسية وتفحص بعض الثنيات التي نحتتها لفحات الشمس بوجه الشاب ثم سأله بوقار شديد:

- انت قلت اسمك ايه؟

- حامد.. حامد أبوزيد

إبتسم (رضا) إبتسامة كشفت عن أسنان صفراء غير منتظمة وقال بسخرية:

" يخلق من الاسم أربعين .. هو كمان كان بيحب ينول الرضا"

أكاديمية النذالة

بخطوات مرتعشة دلف الشاب النحيف من الظلمة إلى القاعة الفسيحة.. أبهرت عينيه الأنوارالكثيفة الصادرة من كشافات رآها كالأقمار تزين سماء حلمه..
دار بعينيه في أرجاء المكان كالتائه في غيابات كوكب فضائي..
حملته قدماه كسلحفاة عجوز نحو طاولة عريضة في نهاية القاعة يجلس من خلفها رجلان وأمرأتان.. أربعة أشخاص تلونوا بطيف من الألوان الصاخبة ينبعث من لافتة مضيئة رسمت شعاراً كبيراً مكتوب فيه "أكاديمية النذالة"..

على بعد خطوات قليلة أمام طاولة المحكمين وقف الشاب ناكس الرأس ناظراً إلى قدميه وكأنه يرى حذائه اللامع لأول مرة، ثم مد يده برفق إلى جيب بنطاله "الجينز" وأخرج مكعب أسود صغير، ضمه بين إبهامه وسباباته، ثم قذفه كحجر نحو طاولة المحكمين..

فزع كل من بالقاعة وكان في مقدمتهم المحكمون الأربعة الذين هبوا فزعين مما ألقاه هذا المتسابق المخبول، ولكن الشاب ظل واقفاً يبتسم إليهم مدخلاً يده الأخرى في جيبه مرة أخرى ليخرج هاتفاً محمولاً ويبدأ في الاتصال..
صرخت فيه المُحكمة ذائعة الصيت (سلمى رأفت) بلهجتها الأمازيغية:
- *ماذا تفعل أيها المجنون؟ ماذا ألقيت علينا؟!!*

كانت (سلمى رأفت) تخشى من إلقاء أي شيئ نحوها ولو كان ضئيلاً،

حيث إستفاقت يوماً ما على وابل من الحجارة أُلقي على بيتها ببلدتها الساحلية، وكان ذلك بعد أن ضاق أهل البلدة ذرعاً بإحتكارها لسوق الخضروات والفاكهة ورفعها المستمر للأسعار، وسأموا علاقاتها النجسة بأثرياء المدينة وتجار غرباء يأتون من خارج البلدة، فتخلى عنها الحرس وقام أهل البلدة بطردها نهاراً مرجومة بالحجارة وخالية الوفاض..

كان ذلك في الماضي قبل أن يذيع صيت (سلمى رأفت) في سوق التجارة والأعمال القذرة وتمسي نجمة النذالة الأولى في المغرب العربي، وصارت ضيفة شرف لمجالس الزعماء وللمؤتمرات الدولية الكبرى، وهي الآن تجلس كقاضي المدينة أمام هذا الشاب المخبول الذي رسم إبتسامة خبيثة على وجهه وقال لها بلطف:

- لا تخافِ.. هذا مجرد مكعب بلاستيكي.. مكعب صغير سأعرف منه ماذا ستقولون عني حالما أنصرفت..

إندهش المحكمون الأربعة وإنعقدا حاجبي المحكم الخليجي الشهير(عدنان الرابح) فسأله مستهجناً:

- كيف ستسمعنا بعد أن تغادر القاعة؟!

أجاب الشاب مبتسماً:

- هذا المكعب هو مجرد إختراع بسيط بداخله شريحة هاتف محمول وميكروفون ذو حساسية عالية لإلتقاط الاصوات.. بمجرد مغادرتي لكم سأتصل برقم الشريحة وسيفتح خط إتصال أستطيع من خلاله سماع أصواتكم وأنتم تتحدثون..

بدت علامات الغيظ على وجه المُحكمة الشامية المشهورة (نسرين

عطار)، فوبخته بحدة مشيحة بيديها:

- ما هذه السخافة!.. ولماذا تسمع حديثنا وتتجسس علينا؟!

فأجاب الشاب بإبتسامة ساخرة:

- أنا المتسابق "حسني خلف" رقم "٤".. وأردت أن أبرز لكم موهبتي في إمكانية التجسس على الآخرين والوشاية بهم.. وقد وشيت بالكثيرين منذ الطفولة وحتى مدرستي الثانوية حتى لقبوني بمحبوب المعلمين.. كانوا يلقبونني أيضاً "الفتان" وأحياناً "العصفورة".. والآن أطير بالوشاية في الجامعة متسبباً في فصل العديد من الطلاب أو القبض عليهم فصرت محبوب الإدارة والأمن..

ظهرت إبتسامة الرضا يزينها الشارب الرفيع للمُحكم المصري المعروف (صفوت نايل)، والذي علق قائلاً:

- حسني.. لقد أبهرتنا وسلبت أرواحنا.. حقاً أنت موهبة تستحق الفرصة..

- أستاذ صفوت صدقني إذا تم قبولي بأكاديمية النذالة فلن تندموا ويمكنني أن أتعلم أكثر وأحسن من أدائي وسأفوز بلقب "العربي الأنذل" والجائزة المالية الكبرى..

- لقد أعدت لي ذكريات الشباب وثقتي في نفسي وقتما كنت أعمل إماماً لمسجد في الجيزة وكنت أخطب في المصلين وأحثهم على ضرورة التحول إلى الدولة الاسلامية.. وبعد أن استقطبت هؤلاء الحمقى حضرت كل مجالسهم واجتماعاتهم السرية.. وبدوري كعميل لجهاز أمن الدولة كنت أشي بتحركاتهم ونواياهم من خلال تقارير دورية.. وهكذا صرت

محبوب النظام.. لأني دائما أعرف أين تكون منفعتي وكيف أتملق وأرضي أولي الأمر.. وهذا من أهم مقومات النذالة.. ولهذا أتنبأ لك بمستقبل موفق.. وسأصوت لك بنعم.

إبتهج (حسني) قبل أن يسمع تصويت بقية المحكمين ويعلنون قبوله في الأكاديمية، وخرج من القاعة يزأر كالأسد، بينما كانت فتاة أخرى حسناء تتحضر لدخول القاعة، وبثبات ينم عن ثقة بالنفس خطت خطوات قليلة حتى توقفت الفاتنة أمام طاولة المحكمين.. نظر إليها الأربعة متفحصين هيئتها المثيرة وجسدها الرشيق المتأنق.. وبهدوء تماسيح نيلية تحركت أنامل المحكمين نحو الأوراق القابعة أمامهم على الطاولة، ليمسكوا بالأقلام إنتظاراً لأن تنطق الفتاة بلغة جسدها ويدونوا ملاحظاتهم..

بدأ المحكم الخليجي المشهور (عدنان الرابح) بالسؤال المعتاد رافعاً حاجبه الأيسر:

- *ما أسمك يا جميلة؟*

أجابت بلهجتها الشامية وبصوت يرقص كالحية:

- *تولا ..*

- ممم.. هذا اسم رائع.. هل تشعرين بأن لديك من موهبة النذالة ما يكفي للحصول على اللقب والجائزة؟

- *بالطبع.. وأتمنى أن أنال فرصة حقيقية لإثبات موهبتي*

- كم عمرك؟

- *أربعة وعشرون عاما*

- *اذن فلتفرجينا ..*

اعتدلت (تولا) في وقفتها قبل أن تبدأ في السرد:

- منذ الطفولة والناس تصفني بالجمال وعندما بلغت الخامسة عشر أقمت أول علاقة عاطفية مع شاب وسيم من ضاحيتي.. وبعد شهر واحد مللت منه وتركته لأتعرف إلى شاب آخر.. وظل الأول الوسيم يلاحقني ويبكي حتى أعود إليه.. فأهملته ثم ارتبطت بثالث وصار لي علاقة بشابين بنفس الحين.. أعجبت بالفكرة وصرت انتقل كفراشة من علاقة إلى أخرى ومن شاب لآخر.. وصار الشباب من حولي يتنافسون لإرضائي وهاتفي المحمول لا يكف عن الرنين بسبب مكالمتهم ورسائلهم المليئة بكلمات الشعر والزجل.. حتى ذبت كقطعة السكر في بحور أكثر من عشرين علاقة وفي غضون سبعة أعوام فقط.. حينئذ قررت أن أصقل موهبتي.. وبالفعل استطعت أن اقيم علاقة مع رجل أعمال شاب.. نجل لأحد الوزراء في بلده.. فسافرت معه إلى بلدان عديدة أنفق فيها أموالاً طائلة ليرضيني وأشترى لي الكثير من الأشياء الثمينة.. حتى أنه هجر خطيبته وطلب أن يتزوجني.. وعند الزواج وبعد أن تحضر لعرسٍ دعا إليه المئات من الأهل والأقارب والأحباب.. إختفيت ولم أحضر العرس.. وفررت إلى هنا متحصلة منه على آلاف الدولارات والكثير من الهدايا.. ثم أطلقت على نفسي لقباً جديداً وقمت بإجراء عملية تجميل في أنفي.. وأمامكم الأوراق والصور التي تؤكد روايتي..

رفع المحكمون الأربعة بعض الأوراق إلى أعينهم يقرأون بعض السطور، ثم خرج صوت المحكم المصري المشهور (صفوت نايل)

ليقطع الهمهمات المتواصلة بنبرة صوته الحادة:

- أنا أرى انها موهبة عادية لا تستحق أن تكمل المشوار معنا.. ليس هذا هو نوع النذالة الذي ابحث عنه.. هناك الآلاف من الفتيات..

قاطعته المُحكمة الشامية المشهورة (نسرين عطار):

- ولما لا؟!.. أرى أن الفتاه لديها موهبة واعدة..

ثم إلتفتت (نسرين) إلى (تولا) قائلة:

- انتِ لديك موهبة تذكرني بنفسي عندما كنت صغيرة.. فقد عرفني الناس بسبب رجل أعمال وسياسي كبير.. وأنا مقتنعة بموهبتك لأنه من أهم مبادئ المرأة النذلة أن تعرف كيف تُسخر مفاتنها في إغواء لاهثي الشهوة وراغبي المتعة اللحظية حتى تصل إلى ما تريده.. لهذا.. أنا سأصوت بنعم..

نظر (صفوت) إلى (نسرين) بإبتسامة باهتة ثم قال:

- وأنا سأصوت بلا.. فربما أيضاً ينكشف تنكرها أثناء المسابقة وتسبب لنا المتاعب

مالت (نسرين) على أذن صفوت وهمست دون أن يسمعها أحد:

- الفتاه مثيرة وجذابة وستجلب للأكاديمية الملايين من مكالمات ورسائل المراهقين..

إرتبكت (تولا) وهي تنظر للمحكميّن الأخرين مستعطفة إياهما بنظرات هِرة حديثة الولادة، فرفعت (سلمى رأفت) رأسها من بين الأوراق قائلة:

- تولا أنا أرى أنك أقمت حوالي عشرين علاقة بقلب ميت وبلا ضمير في وقت قصير.. وهذا حقاً إبداع يحفزني أن أعطيكِ الفرصة بالأكاديمية.. لهذا سأصوت بنعم

إبتهجت (تولا) قبل أن تنظر لنجم النذالة المشهور (عدنان الرابح) الذي بدوره تفحص كل شبر في جسدها حتى كادت نظراته أن تخترق هيكلها العظمي، فأخرج نفساً طويلاً وقال بهدوء:

- ما أدري.. والله هذا موقف صعب يدعوني إلى التأمل.. ولكن بصفة عامة أنا أراها خامة طيبة تحتاج لفرصة تثبت فيها قدراتها.. لهذا سأصوت بنعم.. ومرحباً بك في الاكاديمية..

بعد موجة فرح عارمة غمرت بها (تولا) كل من بداخل وخارج القاعة، دلف إلى القاعة شاب ضخم البنية أشعث طويل اللحية بدا من قسمات وجه تجاوزه العقد الثالث من العمر، كانت بعض تجاعيد الوجه قد عرفت طريقها لأسفل جفنيه، وكان يرتدي ملابس بسيطة أشبه بالجلباب الأفغاني، واختلف في مظهره وهيئته عن كل من سبقه للتقدم من المتسابقين.

تقدم المتسابق بثبات نحو طاولة المحكمين الذين أبدوا اندهاشاً من هيئته وخصوصا (عدنان الرابح) الذي قال مستهجناً:

- يا أخي أنت قادم إلى مسابقة يشارك فيها شباب وفتيات من كافة الأقطار العربية.. ألا تهذب من ظاهرك قليلاً؟! ألم ترى حُسن وجمال (تولا) التي خرجت للتو من القاعة؟!

ظل الشاب ساكتاً ولم يبدي أي علامات إستياء مما قاله، بل أومأ برأسه بالإيجاب وكأنه يقول "حقاً ما تقول"..

حاول بقية المحكمين إخفاء بعض من ابتساماتهم الساخرة بستر شفاهم أو بالنظر إلى جهة أخرى إلاّ أن (عدنان) كان أجرأ منهم فأستطرد قائلاً:

- أنا أعتقد أن جمال المظهر موهبة لا يحسنها إلاّ الأذكياء.. ولكن دعنا نرى.. ما أسمك يا رجل؟ ومن أي بلد أتيت؟

أجاب المتسابق بصوت أجش:

- لدي أسماء عديدة ولكن يمكنك أن تلقبني بأبو الفتوح.. وقد أتيت من بلاد كثيرة فأنا أمتلك تسعة جوازات سفر منهم سبعة يحملون أسماء دول تنطق بالعربية

إنعقدا حاجبا (عدنان)، وأعتدل في جلسته بينما سبقه (صفوت) بالتعليق متحفزاً:

- أنظر يا.. يا أبو الفتوح.. نحن هنا لا يهمنا سوى الموهبة.. ولا تؤثر فينا الجنسية مهما كانت.. فأعرض علينا موهبتك بسرعة.. ودعنا نشاهد ما في جعبتك..

قاطعه (عدنان):

- مهلاً مهلاً يا صفوت..

ثم إلتفت (عدنان) إلى (أبو الفتوح) سائلاً بشغف:

- لديك أسماء عديدة.. وجوازات سفر عديدة.. أتجيد فن التزوير؟

- نعم .. ولكن ليست هذه هي موهبتي الوحيدة.. فأنا أمتلك مواهب أعظم

وأجل..

نظر إليه عدنان ببعض الريبة ثم قال:

- والله لو أنك أقتنعتني بموهبة التزوير فقط لوافقت على دخولك الأكاديمية.. فإني أعشق المزورين والنصابين وأعتبرهم الأذكى والأكثر نذالة في العالم.. فمن غير نصب ولا تزوير لما خدعنا الحمقى وأصحاب الأطماع البلهاء.. ولما جعلناهم يأتون إلينا من كل حدب وصوب

ثم علت ضحكاته قائلاً لمن حوله:

- لا أتخيل تلك الأكاديمية بغير نصاب ومزور مجتهد

إبتسم كل من بالمكان عدا (أبوالفتوح) الذي ظل يحدق في (عدنان)، ثم أخذ نفساً عميقاً وأخرج زفيراً كزفير التنين الغاضب في وجه لجنة المحكمين الأربعة الذين إنتابتهم حالة من الذهول من وقاحة الشاب وتماسك عضلات وجهه وتصلب فرائصه، فغلبهم الفضول وكتموا أنفاسهم في إنتظار ما سيسمعونه من هذا المتسابق العجيب، والذي بدوره إقترب من المحكمين خطوة، وأخرج من سترته شيئ أشبه بالكتيّب المطوي، ثم جعل يفرده أمامهم حتى ظهرت معالم خريطة كبيرة أطارافها الشرقية عند وسط أسيا وأطرافها الشمالية عند جنوب أوروبا أما الجنوبية فتصل إلى وسط أفريقيا..

نظر إليهم أبوالفتوح كفاتح (عكا) ثم قال لهم:

- هذه هي سيرتي الذاتية.. إنتبهوا إلى العلامات الحمراء المدونة على الخريطة.. عند كل علامة مكثت أياما أو شهوراً واستطعت أن أوقد فيها

فتنة طائفية أو حرباً أهلية.. أنا أبوالفتوح التميمي الملقب بثعلب الفتن.. أنا من أطرق باب "الشيعة" لأحفزهم ضد "السُنة" وأُفزع "السُنة" من سطوة "الشيعة".. أنا من يفجر مسجدا ويحرق كنيسة.. أنا من يخطف أبناء "المسيحيين" ويشتم "المسلمين" ويرعب "الأكراد" وكل الأقليات.. أنا من يزرع الضغينة بين "أهل القبيلة" حتى يثأروا من "أهل القبيلة الأخرى".. أنا من أحفز المظلومين ليفجروا الأرض من تحت قصور الحكام.. أنا من أطوف بقاع الأرض فأنقب عن بورها لأغرس فيه بذوراً تخرج زرعاً شيطانياً يقتل كل من أقترب منه وينصب شراكاً للجاهلين فيهوون كالذباب..

نظرت إليه (نسرين) قائلة:

- إنك حق نذل خسيس.. ولكن ما المنفعة التي تجنيها من قتل الناس وإشعال الفتن؟!

إلتفت إليها (أبوالفتوح) مبتسماً لأول مرة وأجابها متسائلاً:

- هل يمكنك أن تبتاعٍ في متجر من دون زبائن؟

إندهشت (نسرين) غير متفهمة لما يقول، فأردف (أبوالفتوح):

- إن لم تنتشر الفتنة وتدق طبول الحروب لباتت الأسلحة في خزائنها حتى صدأت ولما صنعنا منها المزيد.. فكلما أراد قوم أن ينتقموا من آخرين لتفوقوا عليهم في شراء أحدث الأسلحة.. وهكذا تصير الأمور.. وهكذا تمتلئ الجيوب..

رفع (عدنان) يديه مصفقاً وقال منتشياً:

- الله عليك.. أنت موهبة فريدة.. ستكون في رعاية "عدنان الرابح"

طوال فترة إقامتك بالأكاديمية..

نظر إليه (أبوالفتوح) مبتسماً للمرة الثانية، وقال:

- لا أعتقد.. فقد إنكشفت وصرت مطلوباً..

ثم أخرج من جيب سترته هاتفاً جوالاً وبدأ في ضغط الأرقام، فإبتسمت إليه (سلمى رأفت) وقالت بسخرية:

- وما هذا الجوال الذي في يدك؟.. أستجري أتصالاً بالمكعب البلاستيكي الأسود لتعلم ماذا نقول عنك بعدما غادرتنا؟

أجاب (أبوالفتوح) منهمكاً في ضغط أزرار الهاتف:

- بلى سأجري إتصال.. ولكن لا لأعرف ماذا ستقولون.. فلم يعد هناك المزيد لتقولونه.. تلك اللحظة الحديث للقنابل فقط.. و الصراخ لكم..

إندهش المحكمون الأربعة وكل من بالمكان من قول (أبو الفتوح) الذي رجع خطوات إلى الوراء وأنتصب وسط القاعة الفسيحة كضابط يؤدي التحية العسكرية ثم هتف بصوت عال باسطاً كفيه:

- أهلا بكم في دولة النذالة الكبرى

فإنفجر المكان وأحترق كل ما فيه، قبل ان يهوى المبنى على رؤوس جميع من توافد للبزوغ في أكاديمية النذالة.

عودة عبوش

ها قد وصلت إلى مدينة السادس من أكتوبر.. منزلي الجديد ليس ببعيد.. يختلف تماماً عن بيت جدي الذي بعته في (درب البرابرة) .. كنت احب البيت القديم رغم كل ما يحيطه من صخب.. كان زهرة في رياض احتلها جيش من الباعة الجائلين.. كنت أعشق حي الأزهر وباب الخلق والموسكي ومسجد الامام الحسين وباب الشعرية وشارع الجيش.. كانوا جميعا ككريات الدم البيضاء في جسدي النحيل.. لا لا.. لن أكذب على نفسي.. لم يعد جسدي نحيلا.. ملأتني الأعوام الماضية بالهموم فصرت ثقيل الوزن وثقيل الظل أيضاً، وشابهت الحي الذي أسكن فيه الآن.. كنت في غربة داخل وخارج الوطن.. أشتعلت ثورتي في يناير ٢٠١١ وخمدت في يناير ٢٠١٤.. لم تخمد كلياً ولكن غربتي انتهت داخل هذا الوطن، وأدركت أن ذاتي هي الأصل وأن من ظلمني هم مسوخ حشروا مؤخراتهم بين أذرع الكراسي..
أنا (عيوش) إبن (الحاج مصطفى) الذي أرسل العديد من الرسائل إلى مجلة (كلمتنا) منذ حوالي أربعة عشر عاماً .. *

كنت حينها أدرس بالجامعة وأشعر بالغربة والمهانة في بلدي وكان أجمل طموحاتي أن أتخرج وأعمل وأتزوج ممن أحببتها.. كم كنت بريئاً!

*رسالة من عيوش ٢٠٠٠: سلسلة حكايات اجتماعية ساخرة تم نشرها بمجلة كلمتنا في الفترة من ٢٠٠٠-٢٠٠٢ على شكل رسائل من شاب جامعي يعاني من أحوال وسلوكيات المجتمع السيئة والتي أثرت في نفسيته وجعلته يشعر بالغربة المزمنة داخل بلده.

ها هو (مول العرب) الذي أسكن بالقرب منه.. العرب؟! .. العرب هم هؤلاء الذين اشتغلت معهم لسنوات بعد التخرج.. العرب هم الذين كانوا سبباً في فراق والديّ سنوات من أجل حصد الأموال حتى تركوني وحيداً في حياة تشبه مزهرية جوفاء بلا ورود.

أغلق (عيوش) باب سيارته (الشيفروليه) ضاغطاً زر (السنترلوك) والتفت إلى البناية التي يسكن فيها يتأملها، ثم تحرك قليلا إلى الأمام حتى أقترب من منتصف الشارع، فأسند يديه إلى خصره وقال:

- يخرب بيتك.. كئيب كآبة يا أخي.. ايه الهُس ده! يا أخي انطق اتكلم أعملك اي منظر في الحياة.. حتى شبابيكك شبه الكمتراية البايظة..

إنتبه (عيوش) إلى نفير مزعج نغز رأسه بسكين بارد، فرجع خطوات إلى الخلف ليفسح مجالاً للسيارة أن تمر، وما أن مرت السيارة حتى توقفت عند جانب الشارع وانفتح بابها الأمامي وخرجت منه سيدة متأنقة تفوح منها رائحة زكية..

اندهش (عيوش) حينما ألتقتا عيناه بعيني السيدة الرماديتين والتي أقبلت عليه بوجه مشرق، فصاح مبتهجاً:

- نورا!!!!!

أبتسمت (نورا) بلطف قبل أن تجيب:

- أزيك يا عشعوش؟ ايه الصدفة دي.. وكمان واقفلي في نص الشارع!

- انا واقف قصاد بيتي.. وبعدين اسمي عيوش مش عشعوش

- آسفة يا عيوش.. انت مش كنت ساكن تقريبا فنص البلد؟

ابتسم عيوش قائلاً:

- اولا اسمها وسط البلد.. ثانيا أنا كنت ساكن قريب من العتبة اللي كانت خضرا وسافرت السعودية ورجعت لقيتها سودا ومهببة فسكنت هنا في سته أكتوبر.. انتِ بقه بتعملي ايه هنا؟

- أنا جارتك ساكنة في نفس الشارع ويادوب لسه فاتحة من اسبوع محل هدايا وعطور قدام شوية

لاحت أريحية السرور على (عيوش) واستطاره الفرح فسألها بلهفة:

- انتِ لسه قاعدة مع أهلك وماتجوزتيش؟

جمد الدم في وجه (نورا) وتنفست ألماً قبل ان تجيب:

- لا .. أنا اتخطبت لرؤوف بعد التخرج وبعد سنتين ما اتفقناش.. وكل واحد را ح لحاله.. الحمدلله على كل حال

سكت (عيوش) محاولاً إخفاء غبطته، ورسم على وجهه علامات الأسى، ثم قال مواسياً:

- معلش ولا يهمك.. كل شيئ قسمة ونصيب وان شاءالله الجاي أحسن.. وعموما مبروك على المحل الجديد.. انت سميتيه ايه؟

- سميته درة على أسم أختي..

- اسم جميل.. بس معقولة مافكرتيش ترتبطي مرة تانية؟

- والله تعبت.. كل فترة يتقدملي شخص عن طريق mom or dad وفي الآخر أحس اني مش متفاهمة معاه..

حاول (عيوش) اخفاء غبطته مرة أخرى ثم قال:

- وماله أنا برضه بقالي بيجي عشر سنين من بعد التخرج مش لاقي لا mom ولا dad وبحاول أتجوز ومش عارف..

ضحكت (نورا) قائلة:

- لسه زي ماانت متغيرتش..

امتد الحوار لأكثر من نصف الساعة استطاع خلالها (عيوش) أن يقتنص رقم المحمول الخاص بنورا، وقص عليها بعض من قصص كفاحه في مصر والخليج العربي، ثم صعد إلى شقته منتشياً وفرحاً بنظرة (نورا) التي تغيرت له بعد عقد من الزمن، فقد بدا الإعجاب جلياً في نظراتها إليه وأحس نحوها بالألفة، فإرتخى إلى مقعده الهزاز وجالت بخاطره ذكريات الجامعة حينما رآها لأول مرة وكانت تائهة وتتحدث بلكنة مختلفة فتعرف إليها وأخبرته أن أمها إنجليزية، فأعجب بغرابتها وبراءتها وتفردها عن الآخرين وصار يعلمها العامية ويلقنها دروساً في كيفية التعامل مع "الرعاع"، وزاد تعلقه بها فأحبها وأقترب منها كثيراً وتمناها وخاف أن يصارحها لما ظهرمنها من مظاهر الغنى والثراء، حتى انفجر يوما بسبب تقرب أحد الزملاء إليها، فألمح لها بحبه وشغفه بها، ولكنها ألقت على رأسه دلواً مليئاً بالثلج في شهر ديسمبر، فإعترفت له بحبها لهذا الزميل (رؤوف) وولعها به، فإنسحب (عيوش) بلطف من حياتها وفترت علاقتهما حتى تخرجا ونسيته ولم ينساها.

إنتفض (عيوش) فجأة وهب مسرعاً إلى صندوق مخبأ في خزنة

الملابس، فتحه بلهفة وأخرج منه مظروفاً به صورا كثيرة، فأخذ يقلب في الصور حتى توقف عند صورة أمسكها بقوة وأمعن النظر فيها..
شملت الصورة القديمة جمع من طلاب الجامعة كانت (نورا) من بينهم تقف مبتسمة ببراءة وجهها الصبوح وشعرها البني الناعم وقوامها الفرنسي الجميل مزينة خصرها بحزام جلدي عريض، وبجوارها يكاد (رؤوف) أن يلتصق بها فخورا بجيتاره وهيأته التي تشبه (عمرو دياب) في أغنية "حبيبي يا نور العين"، بينما احتل (عيوش) طرف الصورة مرتدياً بنطاله (الباجي) الواسع والذي انتشر في هذه الفترة ومن فوقه (تيشرت) واسع يخرج رأسه منه كالزيتونة أعلى برميل (الطرشي)..
- *ونبي كانت هتحبني ازاي وانا بمنظري ده؟!.. وكمان إسمي عيوش!*

قالها (عيوش) قبيل أن يتوجه إلى أكبر مرآه بالمنزل ويلصق الصورة بها لينتصب نافخاً صدره ويعقد مقارنة بين أمسه وحاضره، فتأمل ملياً وتفحص كل شبر من جسده قبل أن يحدث نفسه من جديد:
- *والله شكلي دلوقتي أظرف كتير.. ايه بس الشياكة دي.. بس هي.. هي شكلها أتغير كتير.. وشها ماعدش فيه البراءة بتاعة زمان وجسمها بقه انيميا خالص..*
علا صوت رنين المحمول لينتشله من حديث مرآته، فنظر إلى شاشته ليجد أسم (نسمة)، فإنزعج قليلا قبل أن يلقي بالمحمول بعيداً ويعود من جديد إلى المرآه..
عاد (عيوش) ليحدث نفسه من جديد:

- يااه.. ده أنا ياما كتبت فيها أشعار..

" رفعت ثغري لأقبل رأسه فباغتني بطعنة من خنجره بين ضلوعي وأخزاني.. فضممته إلي صدري وأخفيت بذراعي فعلته وسترت خنجره بين أحضاني.. وتمتمت في سكرتي لأن عشت سأذكره وسأكتب للبحر أنه قد أسعدني وأبكاني "..

مكث (عيوش) ما يقرب من نصف الساعة يحدث نفسه كالمجنون بينما لم يتوقف رنين الهاتف، فإلتقتطه مجيباً:

- أيوة يا نسمة

- الو.. أيه يا عيوش مش بترد ليه؟

- كنت في الحمام

- أنا قلقت عليك قوي

- لا متقلقيش.. عادي يعني.. أي شخص ممكن يخش الحمام ويغيب شوية

ضحكت (نسمة) ببراءتها المعتادة وقالت:

- خلاص.. ارجع تاني بس ماتغيبش عليّ كتير

ابتسم (عيوش) ابتسامة صافية ثم قال:

- وحشتيني..

-..

-..

نام (عيوش) كالعادة على حديث (نسمة) المسترسل، فلطالما إرتاح إليها وتواصل معها عبر شبكة الانترنت أثناء سنوات غربته، وكانت هي مصدر سروره الدائم، حتى قررا أن يذهب إلى أبيها ليطلب الزواج منها

بمجرد أن يبدأ عمله في شركة التسويق العقاري التي تعاقد معها منذ أيام، وفرحت نسمة كثيرا بذلك وكعادتها في افشاء الاسرار بسذاجتها المعهودة أخبرت زميلاتها في شركة الاتصالات التي تعمل بها، فصارت عروس الشركة المنتظرة.

في صباح اليوم التالي إستيقظ (عيوش) قلقاً، وأبَى الوسن أن يزور جفنيه مرة أخرى، فتوجه إلى الشرفة ونظر صوب البيت الذي أشارت إليه (نورا)، كانت سيارتها الفضية تقف أمامه مباشرة، لم تكن سيارة فارهة، وكان بيتها مشابهاً لبيته، لم يكن قصراً أو فيلا كما توقع أن تسكن الأميرة.

ظل (عيوش) يتفقد أحوال الشارع الهادئ حتى أصابه الملل، فعاد إلى الغرفة وألتقط الصورة الملصقة على المرآه، ثم قام بتصفح هاتفه المحمول، وكالعادة غاص في صفحات (الفيسبوك) حتى وصل إلى الصفحة الشخصية الخاصة بنسمة، ففتح صورها للمرة الثالثة منذ أن عرفها، وظل يحرك الصور حتى استقر على صورة قديمة تجمعها بزملائها في الجامعة فكانت (نسمة) ببراءتها المعتادة ترتدي قميصاً أبيض بسيط غير ملفت أو متكلف وبجوارها صديقتها (نادين) التي تمسك بآلة (الكمان) ويغمرهما السعادة والمحبة، فأمسك (عيوش) الصورة الورقية القديمة لنورا وجعلها بجوار صورة (نسمة) (الديجيتال) بالهاتف، وظلت عيناه تحدقان فيهما وتسعى بينهما كبندول ساعة جده القديمة.

خفق قلب (عيوش) بحب (نورا) من جديد وأحس برغبة قوية في

التواصل معها وبناء علاقة جديدة، لكن صوت ضميره علا يعنفه مرارا، فلم يأبه له وغلبته شهوة الانتصار على هزيمة قديمة والظفر بما تمناه، فأنطلق بسيارته قاصداً متجر (درة) للهدايا والعطور ليقف بسيارته في الجهة المقابلة في انتظار أن تهل (نورا) فيدلف إلى المتجر بحجة أن عيد ميلاد أحد أصدقائه اقترب ويحتاج إلى شراء هدية، وبالفعل لم تمر أكثر من ساعة حتى قدمت (نورا) وخرجت من سيارتها في حلتها المتأنقة، فتهيأ (عيوش) للبزوغ من جديد في سماء حبيبته الأولى..

مرر (عيوش) أصابع يده على شعر رأسه وأخذ نفساً عميقاً ثم دفع الباب (السيكوريت) للمتجر ودلف واثق الخطوة يمشي ملكاً يقلب بعينيه بين المعروضات وكأنه سيشتري طائرة (ايرباص)، لحظات مرت ثقيلة حتى سمع همس (نورا) بجوار أذنيه:

- ايه.. لقيت اللي بتدور عليه ولا لسه؟

إلتفت إليها (عيوش) صانعاً الدهشة:

- لأ لسه.. نورا.. ازيك؟

- ماتقلش انها صدفة برضه

(عيوش) مضطرباً:

- آه.. لا.. هو بصراحة لما قلتيلي امبارح انا كنت بفكر اشتري هدية لواحد صاحبي ولقيتها فرصة.. واهو أنفعك وزيتنا في دقيقنا وكده..

ضحكت (نورا) قائلة:

- تعالى لما أفرجك على الهدايا.. عندي بضاعة لسة واصلة امبارح مش هتلاقيها عند أي حد..

رافقته (نورا) لفترة أطالها (عيوش) قدر ما استطاع، وأدهشه لكنتها التي تغيرت ولم تعد ملفتة، بل صارت تنطق ألفاظاً دارجة كتجار السوق المخضرمين، كما أدهشه ذوبان رقتها وبراءتها في بحيرة من الحسابات والطموحات المالية الكبيرة، وتعجب كثيراً لعدم احساسه القوي بها حينما تعثرت وسقطت بين يديه، فقد كانت المرة الأولى التي تلمس فيها يديه جزءً من جسدها، ولوهلة تذكر كم حَلم بأقل من ذلك حتى تشتعل جوارحه!

خرج (عيوش) من المتجر بهديتين، إحداهما تحفة ثمينة ملفوفة بورق مزركش لا يدري ماذا سيفعل بها، والهدية الأخرى كانت قبول (نورا) لدعوته للعشاء مساء اليوم بأحد المطاعم الأجنبية الشهيرة، فتهلل وجهه وحاول إخفاء ابتسامته العريضة حتى أغلق أبواب سيارته وأستقر على مقعد القيادة فصاح محدثاً نفسه:

- أخيراً يا بنت اللذينه.. أخيراً هنتقابل بالليل ونخرج سوا.. سنين عشان تفهمي!

إرتخى (عيوش) إلى ظهر المقعد وأدار محرك السيارة وقبيل أن يمضي في طريقه شاهد ما لم يكن يتوقعه..

ظهرت (نسمة) فجأة أمام المتجر ووقفت قليلاً تقرأ المكتوب على لافتته ثم فتحت الباب ودخلت، فضغط (عيوش) بقدمه على مكابح السيارة (الفرامل)، وأخذ يفكر فيما تفعله بالداخل..

هل هي صدفة أم عرفت شيئاً؟!

لحظات مرت بطيئة حتى شرع في الاتصال بها:

- ألو.. ازيك يا نسمة.. فينك؟

- ألو.. ازيك يا عيوش.. أنا كويسة الحمدلله.. انت عامل ايه؟

- الحمدلله.. فينك دلوقتي؟

- أنا عند رحاب صاحبتي بزور مامتها عشان عيانة

- مممم.. رحاب صاحبتك.. لا ألف سلامة على مامتها..

- الله يسلمك.. وانت فين دلوقتي؟

- أنا كنت بتفرج على بدلة شيك عشان لما أقابل باباكِ وقلت اطمئن عليكِ وكدة

-..

-..

انتهت المكالمة سريعاً وظل عيوش ممسكاً بالهاتف بجوار أذنه غير مصدق لما سمع، وغابت مداركه لدقائق فكر فيها بأن هذه هي الفرصة التي مَن الله عليه بها ليكشف خداع (نسمة) فيرحل عنها دون أن يتجرع غصص الندم و يؤول مصيره إلى حبيبته الأولى، فإنتظر حتى خرجت (نسمة) من المتجر وهب مسرعا نحوها، فقطع الطريق كالبرق وهو يفتش في خلده عن كلمات موجعة تشج قلبها كالسيف..

فزعت (نسمة) وتغير لونها من هول مفاجأة لم تتوقعها وكاد يسقط من يدها ما تحمله من علبة مزينة برقائق القماش المطرزة، فنظرت إلى

(عيوش) بخوف شديد ولم تنطق بكلمة، فبادر (عيوش) بسؤالها:

- *هي دي صاحبتك رحاب اللي مامتها عيانة؟!*

سكتت قليلاً ونظرت إلى قدميها قبل أن تسألته:

- *انت بتراقبني يا عيوش؟*

استشاط (عيوش) غيظاً وصرخ بحدة:

- *أنا مش براقب حد.. أنا هنا بالصدفة عشان ربنا يكشفلي كذبك..*

تجمعت العبرات في عيني (نسمة) وتحشرج صوتها وهي تقول مرتعشة:

- *أنا آسفة اني كذبت عليك.. بس الفلانتاين بعد اسبوع وحبيت اشتريلك هدية ومعاها دبوس شيك لكرافتة البدلة وكنت ناوية اعملهالك مفاجأة والله العظيم.. بس انت جيت وبوظتها..*

و أنهمرت الدموع من جفنيها تغسل مساحيق التجميل من وجهها، وتطفئ غضب كاد أن يعصف بها.

في المساء تمدد (عيوش) على مضجعه ممسكاً بالصورة الورقية القديمة، وأخذ يقلبها بين أصابعه ويتفحصها للمرة المائة وهو يفكر فيما حدث اليوم، وماذا سيفعل في موعد الليلة بعد أن اختلطت مشاعره وتأجج حبه لنسمة من جديد، وصار يسأل نفسه مراراً هل يمكن أن يحب القلب شخصين في آن واحد؟

دقائق مرت قبل أن يلتقط هاتفه المحمول ويتصل بنورا:

- *الو.. نورا.. ازيك*

-..

- بصراحة أنا بعتذرلك الليلة لأني مش هقدر آجي..

- ليه.. حصل ايه؟!

- واحد صاحبي عزيز عليَّ مامته تعبت قوي ومحتاجلي جنبه.. معلش أنا آسف

- لا عادي ولا يهمك.. صاحبك أهم طبعاً..

- أشوفكِ يوم تاني..

- آه طبعا أكيد.. انا موجودة كل يوم في ال Store..

..Bye ..See you

- باي

لم يترك (عيوش) هاتفه المحمول فبحث عن صورة (نسمة) وعيّنها كصورة خلفية الهاتف، ثم عاد ليلتقط الصورة الورقية مرة أخرى فطواها من المنتصف وأخرج "دبوس الكرافتة" الذي أهدته إياه في الصباح، وقام بصنع عدد من الثقوب المتجاورة عند فاصل الطي، ونزع الصورة من الطرفين فقسمها إلى جزئين، ثم أمسك بأحدهما الذي حوى (نورا) وخطيبها السابق (رؤوف) فمزقه وألقاه في سلة المهملات، وأبقى على الجزء الآخر الذي ظهر فيه ببنطاله (الباجي) الواسع، ثم أتى بقلم وكتب على ظهره:

" إلى أغلى انسانة.. إلى من أخترتها زوجة لي..

إلى حبيبتي نسمة "

Happy valentine's day

عيوش

ثم ألصق ما كتب على التحفة الثمينة التي إشتراها من متجر (درة للهدايا.

و قبل أن يخلد للنوم إلتقط (عيوش) ملف القصص وعاد من جديد ليستكمل قراءة ما سُرد فيه من حكايات جعلته يعدل عن فكرة إرجاعه لصاحبه قبل أن يتم قراءته ويتم زواجه أيضاً..

أب وابن

دفع باب الغرفة برفق حانياً رأسه لأسفل قبل ان ينطق بصوت منخفض:

- بابا..

أمسك الأب بنظارته متفحصاً هيأته، متمعناً في أدبه الشديد الغير معتاد، ثم أجاب بنبرة الخبير:

- خيبير؟؟

توقف (حاتم) أمامه وبدا متضرعاً:

- بابا أنا عايز اتكلم معاك شوية بخصوص داليا

إنزعج الأب وكأنه سمع نقيق ضفدع أفسد عليه هدوء ليلٍ حالم، ثم قال:

- احنا مش قفلنا الموضوع ده؟!

تقدم (حاتم) خطوة للأمام وكاد أن يخر ساجداً وقال:

- بابا أنا مش عايزك تزعل مني.. بس الحقيقة اني حاسس ان هي دي الأنسانة اللي هقدر أكمل معاها حياتي وهي دي اللي فاهماني وهتحافظ عليا.. بس ياريت تديني فرصة..

قاطعه الأب محتداً:

- يابني انت حصل لمخك حاجة؟!.. عايز تتجوز واحدة لا أصل ولا فصل ولا نعرف عنها أي حاجة! ما البنات عندك اكتر من الهم عالقلب.. أختار أي بنت كويسة وأنا أروح أخطبهالك.. وبعدين انت مستعجل على الجواز ليه.. مش لما تثبت في شغلانة!

برقتا عينا (حاتم) وخرج صوته مضطرباً:

- بابا دي حياتي وانا حابب ان موضوع جوازي يكون من إختياري.. حضرتك اخترت ليّا حاجات كتير قبل كده والبنت دي هي اول حاجة اتمسك بها.. لو سمحت اديني فرصة أختار

إنعقدا حاجبي الأب وقال:

- تختار!.. حد حايشك؟!.. بس اختار حاجة عدلة تشرفك وتشرفنا.. اختار زي ما أنا أختارتلك أم تشرفك وتعرف تربيك.. بص وشوف ولاد خالتك متجوزين ازاي..

- ولاد خالتي شخصيتهم مختلفة عني.. وكل واحد له تفكيره وذوقه

اقترب منه الأب ووضع يده على كتفه برفق قائلاً:

- يابني أنا لما كنت في سنك كان قصادي بنات كتير غير والدتك.. إللي شقرا وإللي سمرا.. وإللي بتلبس محزق وإللي بتلبس دانتيل.. وإللي مابتلبسش أصلا.. واللي بتغني وإللي بترقص وإللي بتطلع في الأفلام والمسلسلات.. بس لما فكرت أتجوز.. فكرت بطريقة عملية وقلت بلاش امشي ورا.. ممم.. لازم لما أتجوز واحدة أكون متأكد أنها هتحافظ عليّا وعلى أسمي وتكون أحسن أم لعيالي.. وأديك شايف أمك.. ست محترمة وعرفت تربيك انت واخواتك وتحافظ على البيت..

سكت (حاتم) قليلاً وانسكبت الحيرة من مقلتيه، ثم قال بصوت متحشرج:

- داليا هي أكتر بنت حبتها وأكتر بنت فاهماني ومش قادر أحس بأي بنت غيرها..

ابتسم الأب وهو ينظر للأبنه نظرة حانية تعطف على عاطفته، وتتودد لضعف حيلته، ثم اقترب منه قائلاً:

- يا عبيط.. انت فاكرني مش فاهم.. انا حسيت بكل اللي انت بتحس بيه.. ومرّيت بنفس المشاعر.. دي فترة مشاعر ملتهبة وبتاخد وقتها وتروح.. وهتنساها وهتضحك عليها كمان..

ثم دنا منه أكثر واختلس النظر من حوله ليتأكد أن لا أحد يسمعه وأردف هامساً في أذنه:

- بالك لو أتجوزتها.. كام شهر وهتزهق من جسمها وشكلها ومش هتكون طايق لا صوتها ولا حتى ريحتها.. ياض احنا رجالة مايملاش عينينا إلاّ التراب..

ثم ضحك وهو يربط على كتفه وبدا سعيداً منتشياً وكأنه يرفع درع الرجولة عالياً.

استرخى الأب على المقعد، فأحس (حاتم) بقليل من الأرتياح لمزاج أبيه فسأله بجرأة:

- هخسر إيه لو اتجوزت البنت اللي بحبها وعايزها؟ مش أنا راجل؟

صمت الأب قليلاً قبل ان يجيب بصوت عميق يحمل بعض نبضات الصبر:

- ويا ترى كنت هتعمل إيه يا حاتم لو كبرت ولقيت والدتك ست مش تمام ومعرفتش تربيك ولا تعلمك كويس.. مش كنت هتسألني ساعتها.. ليه يا بابا اخترت الست دي بالذات؟

و سكت مرة أخرى ونظر إليه بقوة ثم قال بصوت يمتزج بقدر من الأنين:

- أنا أخترت مصلحتك ومصلحة أخواتك قبل ما أختار متعتي الشخصية.. لو عايز تتجوز المشاعر والغرايز والأحاسيس.. أتفضل افرح بهم.. أنا موافق.. بس واجب عليّا اقلك حاجة مهمة قوي..

انتبه إليه (حاتم) بحماس شديد متشوقاً لما سيقول، فأضاف الأب وهو يشير بسبابته محذراً:

- فاقد الشيئ لا يعطيه.. وإن كانت حبيبتك معندهاش دين كفاية ولا علم كفاية.. لا تنتظر منها التعامل بأخلاق المتدينين ولا تنتظر منها تفكير وتربية المتعلمين..

و إلتفت الأب بعينيه إلى برواز صغير يزين المنضدة يحمل صورة قديمة تضمهما وزوجته (سميرة) معلناً بذلك توقف الحديث عند هذه اللحظة وعدم إستعداده لأي نقاش آخر، فإنسحب (حاتم) في هدوء تفادياً لأي صدام جديد يزيد الأمر توتراً، وغادر قائلاً:

- إللي تشوفه حضرتك.. أنا خارج أغيّر جو..

لم يلتفت إليه الأب وتعلقت عيناه بالبرواز الصغير، ثم عاد بظهره إلى الوراء وأسند رأسه على الجدار وغاص في تفكير عميق، فعادت إليه ذكريات (هيلينا) الجميلة التي تعرف عليها في بعثته بالولايات المتحدة، قبل أن تكون رفيقة دربه لسنوات الدراسة هناك، وأخترقت جدار عقله ذكرى إيابه إلى مصر فإهتز كيانه عندما تذكر بكائه لأبيه أن يبارك

زواجه من حبيبة العمر، ولكنه رفض وظل ثابتاً متعنتاً على موقفه أكثر من عام حتى رحلت (هيلينا) ورحلت معها الأيام الجميلة.. يا لها من ذكريات.

أغمض الأب عينيه وكأنه لا يريد ان يرى للواقع نوراً، ثم تمتم قائلاً:

- *هو هيطلع لمين يعني ..*

ذاك الشبل من ذاك الحمار.. منها لله الجينات.

الحب حكايه

أزيز رتيب ووجوه يرسم قسماتها عنت سفر طويل.. عيون يغشيها الوسن وعيون تائهة تبحث هنا وهناك بين الكراسي الجامدة

"*السادة الركاب برجاء ربط أحزمة المقاعد إستعداداً للهبوط بمطار القاهرة الدولي*"

خرج صوت مضيفة الطائرة ليقطع حبل مديد من الملل، وإستيقظت معه (روز) لتنتبه إلى صخب يعلو وتصفيق من بعض الركاب، ووجوه تبدلت قسماتها إلى الفرحة الغامرة تصرخ بنداء الحنين..

رجفة خفية سرت في العروق وشعرت (روز) لأول مرة برهبة تأتيها من حيث لا تدري.. طيف من التساؤلات يمر برأسها.. قدم تتحرك بعشوائية إلى الأمام والخلف، وركبة تعلو وتنخفض بسرعة في قلقٍ وحيرة.. تلتفت إلى النافذة وتنظر لأسفل.. آلاف من أسطح البيوت المتلاصقة تشبه حبات الثرى.. لقد تغيرت القاهرة.. لا يبقى شيئ على حاله.. *تُرى.. أي هذه البيوت يسكن (سامح)؟*

برهة قصيرة إستغرقها المرور بالطائرة فوق الشريان الأزرق.. أخذت (روز) نفساً عميقاً ثم أخرجته ببطئ، وأبتسمت إبتسامة هادئة.. وقالت بصوت لا يسمعه غيرها:

النيـل..

نظرت روز إلى نهر النيل وتذكرت كم من مرات استيقظت وخرجت إلى شرفة البيت تشرب فنجان القهوة وهي تنظر إليه وتحدثه، وكم من مرات شكت إليه قسوة أبيها، وكم من مرات لعبت مع جيرانها على متن مراكبه، وكم من مرات إلتقت عنده بسامح..

ضغطت (روز) بسبابتها عند منتصف نظارتها وأمعنت النظر تبحث بين الحبات الصغيرة عن بيت أبيها على ضفاف النيل..

سمعت (روز) صوت (أم كلثوم) يشدو..

" *غصبت روحي على الهجران وانت هواك يجري فدمي..*

و فضلت أفكر في النسيان لما بقه النسيان همي "..

من أين يأتي هذا الصوت؟!.. تتبعت بأذنيها مصدر الصوت ومالت برأسها يميناً وعادت إلى الوراء قليلاً لترى أحد الركاب يمسك بهاتفه المحمول في زهو وطرب بصوت (أم كلثوم) بينما عيناه معلقتان بنافذة الطائرة في شغف شديد!

و من نافذة الطائرة وبين بنايات متراصة كمكعبات الثلج في أكواب المشروبات الغازية، وقعت عينيها على ساحات فسيحة لمساجد قديمة.. إنها القاهرة القديمة.. أبتسمت (روز) من جديد وتذكرت عندما جلست لأول مرة على مقهى (الفيشاوي) في تحدي سافر لتقاليد العائلة، ودخنت (الشيشة) مثل الرجال، وخرج الدخان من فتحتي أنفها في وجه (سامح) لتعلن له عن بداية تحدٍ جديد بأنها ستصبح أكثر إنحرافاً و(أصّيع) منه في كل شيئ، وتذكرت يوم أن إستشاط منها غيظاً لغلبتها عليه في إحتساء كوب (حمص الشام) المليئ بالشطة..

إرتطمت عجلات الطائرة بأرض مصر أخيراً وهوت معها القلوب والأنامل، ودفنت (روز) وجهها بين راحتي كفيها وهي تقول:

الحمدلله.. Thanks god

نصف ساعة أستغرقها الخروج إلى صالة الوصول، فما أن أطلت (روز) بهيأتها الأجنبية وشعرها الغجري حتى رأت أحد الأشخاص يبتسم ممسكاً بلافتة مكتوب عليها اسم الفندق الذي حجزت فيه على ضفاف النيل، فرافقته إلى سيارة شقت طريقها في شوارع القاهرة المزدحمة.

و على المقعد الخلفي في السيارة جلست (روز) في حالة من الصمت وعيناها تتبع كل شيئ يمر عليها من خلال النافذة، تتذكر سنوات مرت رتيبة ومتكررة كالطلاء الأبيض والأسود على أرصفة الشوارع، وأعمال ووظائف بغير جدوى، وعلاقات باهتة بأشخاص كالدُمى، وجيران قلوبهم جامدة مثل تمثال رمسيس الكائن أمامها في قلب جزيرة الشارع الخضراء..

لقد كان تمثال رمسيس الأصلي أكثر إنسانية وهو يشارك الناس آلامهم وعذابهم اليومي أمام محطة القطار.. كم كان لطيف منه أن شاركها بؤس العبرات التي ذرفتها في انتظار (سامح) لتشكو له ظلم الأهل.. كان (رمسيس) شاهداً عليهما عندما سافراً سوياً إلى الأسكندرية حيث بيت عمته (نادية) بالأنفوشي، وكانت وقتها تحمل بين ضلوعها وجعاً وتحدياً لم تعرفه من قبل، كانت تريد أن تتمرد على أبيها ذي السلطة والنفوذ، وأمها ذات السطوة والمال والصوت الحاد، كانت (روز) تصرخ من وراء جُدر ولا يسمع لها أحد، فتهجر البيت ولا تعلم إلى إين المفر، فتستغيث بسامح، وكعادته لا يتأخر، فكان صلباً لا يكترث إن أحرقته النار من أجلها، وفي كل مرة يأتيها مهرولاً من كلية الطب حيث كان

يتعلم، يتصبب عرقاً لأنه لا يمتلك سيارة مكيفة تنقذه من حرارة تزيد عن الأربعين، فكان هو دائما من يقترح، وكانت هي دائماً تعجب بأفكاره، لهذا رافقته إلى بيت عمته الحنونة، والتي قال عنها دائماً أنها رقيقة ولا تفشي له سراً، ولن تخذله ولن..

صوت نفير يعلو وفرملة قوية كادت ترتطم برأس (روز) في ظهر المقعد الأمامي بالسيارة..

" يا أخي حرام علييييك.."

صرخ السائق في وجه أحد المارة قبل أن يعود برأسه إلى الوراء ويرسم الابتسامة على وجه معتذراً لها بأدب جم:

- أسف حضرتِك.. Excuse me

عند المغرب وصلت (روز) إلى مدخل الفندق الأنيق، وحمل (البِلمان) الحقائب إلى الغرفة، وما أن أغلقت باب الغرفة حتى خلعت نعلها وإرتطم الكعب العالي بالحائط وارتمى على الأرضية مثلما إرتمت هي بظهرها على الفراش الأبيض رانية بنظرها إلى السقف تغوص في فاصل من الصمت، بعد ربع ساعة هبت (روز) فجأة وأنطلقت كالسهم نحو الشرفة تشد ستائرها وتخلع النقاب عن مشهد بهيج لطالما أحبته وإشتاقت إليه..

وقفت (روز) تنظر من الشرفة إلى موج النيل الهادئ وعيناها تلمعان كصفحته في الليل، إستندت بمرفقيها على سور الشرفة وتذكرت عندما جمعها هذا المكان بسامح.. لم تكن نفس الغرفة، ولم تكن كل هذه البنايات

قائمة، ولكن النيل مازال يجري كما جرى الدم في عروق (سامح) يوم أن رأى أحد الأشخاص ينظر إلى جسدها بشهوة، فصفعه على خده ودارت بينهما مشاجرة تمزقت على أثرها ثيابه الجديدة التي إشتراها ليتباهى بها..

كانت اول ملابس يشتريها من ماله الخاص بعدما إلتحق بالعمل في أحد المراكز الطبية لجراحات التجميل، وكانت هي كعادتها ترتدي ملابسها من أغلى محلات الزمالك والمهندسين ومصر الجديدة، ورغم ذلك كانت تترك أناقتها وسيارتها جانباً وتطير معه على قدميها إلى أي مكان يختاره..

"I loved him so much "..

قالتها (روز) بحسرة وتنهدت..

رنين متكرريصدر من داخل حقيبة يدها عاد بها من الشرفة..

- ألو.. رووووز.. أنا سلوى.. إنتِ فين؟؟!

- في الأوتيل في Cairo

- يا بنت الذينه يا مجنونة.. انتِ جيتي من أمريكا فعلا؟!

- What's wrong! هخاف من إيه؟! هيصادروا أموالي أنا كمان؟!

- أنا مش مصدقة نفسي.. أخيراً.. انتِ وحشاني مووت.. حمدلله على سلامتك

- الله يسلمك يا سولي.. انتِ كمان وحشاني موت.. يلا بقه عايزين نتقابل

- هكلم مجدي ونجيلك فورا

- لا لا.. مفيش داعي دلوقتي.. الرحلة كانت طويلة ومحتاجة أرتاح.. إيه

رأيك نتقابل بكرة؟

- ممم.. انتِ هتقعدي في مصر قد ايه؟

- لسه مش عارفة.. ممكن two or three weeks

- بس! وناوية على ايه؟

- هرُوح بابي ومامي

- برافو عليكِ.. أحسن حاجة عملتيها.. وأنا هاجي معاكي

- هو بابي لسه..؟

- لا هو خلاص خرج من النيابة.. مفيش عليه حاجة.. كلها بلاغات كيدية

- مش قصدي.. أنا قصدي على الموضوع التاني..

- ما تقلقيش.. عمو أتغيّر خالص من بعد الهوجة اللي حصلت في مصر.. وبعدين الموضوع مر عليه بيجي اتناشر سنة يا روز وأكيد أول ما هيشوفك هينسى اللي حصل وهيضمك في حضنه..

ثم دار بينهما حواراً من فصيلة " وإزاي طنط ليلى.. ووفاء العبيطة اتطلقت.. ونانسي هاجرت كندا.."

نامت (روز) على أثره وعلى وجهها ابتسامة هادئة يشوبها بعض القلق والحذر.

في منتصف نفس الليلة وعلى كوبري (٦ أكتوبر) بالقرب من الفندق الذي تنام فيه (روز) توقفت سيارة (أوبل فكترا) داكنة اللون وخرج منها رجل أنيق تُظهر هيأته بلوغه سن الأربعين وتبدو على ملامحه بعض الجدية وتحمل نظراته هموم كثيرة، ضغط على قفل التحكم (السنترلوك) وأغلق أبواب سيارته، ثم توجه نحو عربة أشبه بالكشك بداخلها قِدر

معدني كبير مليئ بحمص الشام وبجوارها مجموعة من الكراسي البلاستيكية، ويقف خلف هذا الكشك المتنقل شاباً يستتر في زجاج العربة ويرحب بالضيوف، ثم يشير إليهم بالجلوس وكأنه يدعوهم للجلوس في شرفه قصره للإستمتاع بنسمات الليل على (النايل فيو)..

إستند الرجل الأنيق إلى الحاجز المعدني الأخضر للكوبري وأشار إلى الشاب أن يزيد من الليمون والشطة، ثم أخرج هاتفه المحمول من جيبه قائلاً:

- ألو.. ايوة يا علي.. قفلت العيادة؟

- اه قفلتها ومروح أهه

- بص يا علي.. إلغي كل حجوزات بعد بكرة عشان عندي تصوير برنامج ومش هقدر آجي

- ويوم السبت يا دكتور؟

- السبت العيادة هتشتغل في ميعادها عادي

- تأمرني يا دكتور

..

تناول (سامح) كوب الحمص من الشاب وأخذ يقلب فيه بالملعقة وهو ينظر إلى صفحة النيل الهادئة ثم قال بسخرية:

- بكرة يحبسوك انت كمان ويعبّوك في أزايز..

ثم شرد بذهنه وعاد بالذاكرة إلى قبل عقد مضى عندما أخضبت دماؤه ماء النيل، وأنقذه بعض المارة من النزيف والموت..

كان يسير ليلاً عند كورنيش الزمالك باغياً محطة (الميني باص) بعدما

رافق حبيبته (روز) إلى بيتها، وفي منطقة شبه مظلمة وخالية من المارة باغته شخص بالسؤال عن التوقيت، وقبل أن يجيب إلتف من حوله أربعة رجال، قام أحدهم بسحب محفظة نقوده من الخلف، وعند إستدارته للخلف قام آخران بإمساكه وتثبيت معصميه والضغط على رقبته بشفرة مطواة، بينما قام رابعاً بتفتيش جيوبه..

حاول (سامح) ان يستغيث فضربوه على رأسه وبين فخذيه، فأصر على مقاومتهم فطعنه أحدهم في فخذه وشق بنطاله، وطرحوه أرضاً بسيل من السباب والشتيمة، ثم حملوه وألقوه في النهر بعد أن سلبوا محفظته وهاتفه المحمول.. وبعد أن ألقوه صاح به أحدهم:

- عشان ماتمدش إيدك على حاجة مش ليك

تهيَّج فم (سامح) من لهيب (الشطة)، فنظر إلى حمرة الكوب وتذكر حمرة الدماء التي سالت منه حتى وصل إلى مستشفى، ثم أخرج من فمه نفساً كتنين أسطوري مجنح يطلق لهباً من فمه، ثم قال:

منك لله يا روز.. انتِ اللي حببتيني في الحمص أبو شطة لحد ما قولوني اتهرى

عاد (سامح) إلى سيارته وقام بتشغيل اسطوانة (CD) قديمة لمحمد عبدالوهاب، وزاد من درجة التكييف البارد، وجلس يفكر ماذا سيفعل بعد أن طلَّق زوجته وصار وحيداً في بيت موحش؟ لم يحبها يوماً.. ولم يرد الله له أن ينجب منها..

هل يبحث عن حبه المفقود بعد أن هجرته (روز) إلى خارج مصر؟

هل مازالت تحبه أم تزوجت بشخص آخر ولا تتذكره؟ أهجرته لخوفها من بطش أبيها إنتقاماً لما صار بينهما في السر؟ أم هجرته لأنها ملّت الحياة البائسة معه وكرهت ظروفه المادية المتعسرة؟ أنسيت سبع سنوات من العشق أم مازالت تذكر؟ هل.. وهل.. وكيف.. ولماذا؟؟؟ عشرات التساؤلات تطوف بخلد (سامح) في لحظات بطيئة تمر كالسلحفاة البرية، وكل ما يفعله هو أن يكتفي بالنظر من خلف الزجاج إلى مبنى الفندق الذي جمعه بحبيبته (روز) يوما ما، ثم إنحنى برأسه على طارة القيادة (الدركسيون) وقال بحسرة:

أنا الشخص الوحيد اللي حَب أوتيل أكتر ما حَب مراته..

و أتبع ذلك بضحكة بلهاء وأنطلق بسيارته يغني مع صوت محمد عبدالوهاب:

" آديني صابر لما هجرني .. وإن شاء يجافي أخضع لأمره "

في صباح اليوم التالي استيقظت (روز) على رنين الهاتف المحمول لتسمع صوت (سلوى):

- ألو.. روز.. انا سلوى.. انتِ لسه نايمة! انا هنا في الأوتيل مستنياكِ في الرسيبشن

و في أقل من نصف ساعة شهد البهو الرئيسي للفندق عناقاً حاراً إمتزج بدموع الفرحة، ولم تمض دقائق طويلة حتى جلست (سلوى) على كرسي القيادة في سيارتها وبجوارها (روز) وإنطلقا في زحام القاهرة نحو حي الزمالك ودارت بينما عشرات الحوارات:

- روز: *أمال فين جوزك والعيال؟*

- سلوى: *العيال في المدرسة ومجدي عنده اجتماع مهم الصبح مش هينفع يأجله.. قام قايللي نتقابل بعد الضهر.. بصراحة لقيت نفسي مش قادرة استنى.. أخدت العربية وجتلك وكلمته قلتله يجيب العيال ويعدي علينا في الزمالك بالليل..*

- *نفسي اشوف عيالك*

- *هتشوفيهم وهيزهقوكِ.. خلّينا احنا بس نشوف عيالك.. ولا انتِ مش ناوية؟!*

- *حاولت يا سلوى.. بس طبيعة الرجالة هناك شبه الصابونة.. تيجي تمسكيها تزحلق.. ولو قربتيها من وشك تحرقلك عينيكِ*

ضحكت (سلوى) ثم قالت:

- *هتفضلي طول عمرك فقرية..*

- *قابلت هناك شخصيات كويسة.. بس تحسي ان الحياة معاهم عايزة تشَعوَط شويه.. ناقصها ملح وبهارات وشطة...*

في هذه اللحظة توقفت السيارة امام بيت الوزير الأسبق (جلال فخري) وبدا على وجه (سلوى) بعض علامات الجدية وقالت:

- *آدي البيت أهو زي ما هو.. ماتصدقيش الكلام الأهبل بتاع الجرايد الصفرا.. وعمو (جلال) قاعد جوه بعد ما حققوا معاه وخرج نضيف قصاد الدنيا كلها.. دي كلها أمور كيدية عشان هو كان من الحزب*

سكتت (روز) وأخذت تفكر كيف ستواجه أبيها بعد أن هاجرت لخالتها في الولايات المتحدة فراراً منه، وماذا ستقول له بعد سنوات من الغياب،

ثم أحست بضيق في صدرها ونظرت إلى سلوى نظرة بائسة، فإلتفتت إليها (سلوى) وضغطت على يدها قائلة:
- ماتخافيش.. أنا هدخل الأول أمهدلك وأروقلك الجو وبعدين خشي إنتِ ورايا سلمي عليهم وبوسيهم.. بس إياكِ تفتحي في أي مواضيع من بتاعة زمان
إنتظرت (روز) في السيارة قبل أن تعود إليها (سلوى) مبتسمة، ويسيران سوياً نحو الباب الخشبي الأنيق الذي شهد على صداقة إمتدت منذ الطفولة وإلى ما بعد تخرجهما من الجامعة الأمريكية منذ خمسة عشر عاماً، وبمجرد أن تخطيا عتبة البيت لمحت (روز) أمها تنتظر إليها بلهفة، فإرتمت بأحضانها تقبل وجنتيها والدموع تنهمر منهما بغزارة، فلم تكن الزيارات المتباعدة التي تقوم بها الدكتورة (سميرة) إلى الولايات المتحدة كافية لإشباع رغبتها في رؤية إبنتها (روز) بجوارها في بيتها ووطنها.. كان البيت أشبه بالقبر الموحش الذي إمتلأ نوراً، وشعرت الأم بأن وجب عليها أن تأخذ بيد إبنتها حتى غرفة نوم أبيها، وفي مشهد حاولت (روز) أن ترسم معالمه على مدار إثنتي عشرة سنة وقفت كالطفلة المذنبة أمام نظرات معاتبة من وجه صارم لا يتحدث كثيراً، وجه زادت التجاعيد فيه وإنكسرت نظراته وأمتلأ بالهموم، لم يعد (جلال فخري) قوياً كما هجرته (روز) وزاد المشيب في رأسه، ونبت الشعر من ذقنه وصار غير مبالياً بحلاقته كل يوم كما كان يفعل، وأصبح أكبر همه هو مشاهدة القنوات الفضائية وما يقال عنه.
نظر الأب إلى إبنته متمعناً في هيأتها من خلف نظارته وكأنه يحاول أن

يتذكر أين رأى تلك الفتاة من قبل، ثم مد ذراعيه وقال:

- *تعالى يا روز*

احتضنت روز أبيها وأجهشت بالبكاء وهي تقول:

- *آسفة يا بابي..*

بعد يوم عصيب حافل بالمشاعر المختلطة ، قررت (روز) أن تترك الفندق وتعود لبيتها على ضفاف النيل من جديد، وقبل منتصف الليل عادت لغرفتها بالفندق لتنعم بسبات هادئ، وتستيقظ في صباح اليوم التالي لتجمع أغراضها وتحمل حقائبها وتغادر، وكعادتها تقوم (روز) بتشغيل التلفاز وتدور كالنحلة في أرجاء المكان، وفي هذه المرة سمعت (روز) صوتا مألوفاً يتحدث في أحد البرامج، فاوقفت مجفف الشعر (السشوار) وإلتفتت إلى صورة التلفاز فشاهدت ما لم تتوقعه..

- مقدمة البرنامج:

دكتور سامح بالنسبة لآثار الجروح والخدوش على الوجه.. ايه هي الطرق المثلى لعلاجها وتجميلها؟

- الطبيب الضيف:

علاج أثر أي جرح أو خدش بالوجه يتوقف على مساحته وعمقه والزمن اللي مر عليه لأن الجرح الصغير والسطحي والجديد أسهل في علاجه من ال...

أمعنت (روز) النظر في شاشة التلفاز ولم تتغير وضعيتها لخمس دقائق، ثم هبت في حركة سريعة وأمسكت بهاتفها الجوال، وتأكدت من وضع

الشريحة الخاصة بالشبكة الأجنبية، ثم نقلت الرقم المدون أسفل الشاشة واتصلت به.. وفي غضون دقائق وعلى شاشة التلفاز:

مقدمة البرنامج:

- معانا إتصال من امريكا .. مدام نهى..

- Hello

- أهلا بيكِ مدام نهى

- حضرتك أنا مصرية وعايشة في نيويورك وكان د. سامح بيعالجني في مصر من حوالي اتناشر سنة من Freckles.. أو النمش.. وبصراحة النمش رجع تاني ومش عارفة أعمل ليزر ولا ايه بظبط.. وليه النمش بيرجع تاني؟

إرتبك دكتور (سامح) وظهر ندى العرق من جبينه، ثم تماسك وأجاب بلهجة رقيقة وبإبتسامة مصطنعة:

- اهلا بيكِ مدام نهى.. بقالي كتير مسمعتش صوتك.. واضح إن حضرتك بتتعرضي كتير للشمس.. عموماً بالنسبة لليزر احنا عادة بنستخدم ال IPL أو ال Alex Q-Switched في إزالة البقع البنية، وفي أوقات تانية بنستخدم الكَيّ الكهربي.. وهي عملية بسيطة جدا ويقدر يعملها أي طبيب أمراض جلدية بجهاز مخصص للموضوع ده..

ثم أخذ نفساً عميقاً وقال:

- وبنصح حضرك على وجه الخصوص بعدم التعرض الزائد للشمس أو الجلوس كتير على البحر أو النيل .. وياريت نقلل من الأطعمة اللي فيها

بهارات أو شطة كتير.. وخصوصاً حمص الشام.. أو المعروف في الشارع بأسم" الحَلَبسة "..

ضحكت مقدمة البرنامج.. ثم علقت بإبتسامة خبيثة:

- واضح إن حضرتك فاكر كويس مزاج مدام نهى في الأكل

د. سامح بهدوء وثقة:

- مدام نهى كانت من أول الحالات اللي قابلتها في بداية حياتي المهنية وكانت بتشتكي من نمش بسيط في الوجه والكتفين.. ومن الصعب على أي طبيب أنه ينسى بداياته.. وحقيقي أنا سعيد جدا إني سمعت صوتها

مقدمة البرنامج تعود للكاميرا موجهة حديثها إلى المُتصلة:

- مدام نهى.. مدام نهى.. مدام نهى..

واضح إن الخط فصل.. عموما إحنا بنشكر مدام نهى على اتصالها من امريكا، ونستقبل مكالمة أخرى.. مدام عزة من المنصورة..

ظلت (روز) ممسكة بهاتفها المحمول غير مصدقة لما جرى، ثم توجهت ببطئ نحو شرفة الغرفة، وشدت ستائرها، ودفعت الضلفة الزجاجية، ثم وقفت في الشمس الساطعة تنظر إلى الشريان الأزرق بذهول، ثم أبتسمت وقالت بهدوء:

وحشتني قوي الحلبسه

إذن إنصراف

جلس يرمقه بنظرات مريبة لا يفهمها، فوجه إليه سؤالاً مباغتاً في الحال:

- *مالك يا حسين.. فيه حاجة؟*
- *لا .. مفيش حاجة يا أستاذ محمد*
- *أمال مالك بتبصلي كده ليه.. أنا زعلتك في حاجة؟*
- *لا خالص.. مش قصدي أكيد*
- *يعني انت راضي عني؟*
- *أكيد طبعاً يا فندم*

ضحك الأستاذ محمد (المدير العام) ضحكته المعتادة بعد كل (قفشة) من (قفشاته) السخيفة ، وكالعادة ضحك الحضور مجاملة له ، أو ربما ضحكوا لإهتزاز (كرشه) ككتلة (الجيلي) على كرسيه ذي الأربع عجلات والذي يكاد يصرخ من ضخامة حجم مؤخرته، لكن (حسين) إكتفى بالإبتسام ثم اردف قائلاً:

- أستأذن حضرتك دقيقتين أروح الحمام

نظر إليه ا/ محمد ببعض الإستهزاء ثم أجاب بسخريته المعتادة:

- *اه طبعاً .. اتفضل يا حبيبي*

خرج (حسين) من غرفة الاجتماعات مسرعاً إلى اقرب دورة مياه، وما أن أغلق الباب حتى

أخرج حافظة النقود من جيبه الخلفي، ومن داخل أحد الجيوب الضيقة أخرج قرطاس صغير إستأصل منه قرص أبيض إبتلعه بلهفة المحتضر لأنفاس الحياة ..

داخل قاعة الاجتماعات نظر (أ/محمد) إلى بقية الحضور ثم وجه حديثه إلى أحد الموظفين:

- *أستاذ غانم ياريت تفكرني نحط بند جديد في ميزانية السنة الجاية خاص ببامبرز الموظفين.. عشان كل موظف جديد يقدر يتصرف بدون ما يعطل الاجتماعات.. هاهاهاها*

ربع ساعة مضت قبل أن يعود (حسين) إلى قلب الاجتماع من جديد وعلى وجهه علامات الارتياح، ثم عاد للإنصات من جديد مسنداً خده على كفه راسماً ابتسامة الرضا ومرت الدقائق وكأنه يستمع إلى طرب السيدة (أم كلثوم)، وبدا له أ/ محمد كفراشة صفراء تتمايل أعلى زهرة وردية لها أربعة أرجل..

بعد إنتهاء الإجتماع اليومي السخيف انصرف الحضور وسار (حسين) بين أروقة الشركة ببطئ شديد يتأمل المكاتب والكراسي مبتسماً حتى إرتخى إلى كرسي مكتبه وأسند رأسه إلى الوراء ناظراً إلى السقف الرتيب..

على بعد أمتار قليلة من مكتب (حسين) وفي المكتب المجاور خرج صوت (أميرة) موظفة الحسابات مضطرباً وهي تهمس بهاتفها المحمول:

- يا ذكي افهم.. مينفعش طبعا.. ممكن حد ياخد باله.. ممم.. طيب قابلني بعد خمس دقايق قصاد الحمام.. باي

فتحت (أميرة) أحد أدراج المكتب وأخرجت منه ميدالية فضية بها مفتاحين، ثم هبت واقفة ترسم على وجهها علامات الجدية وخرجت من

غرفة المكتب حاملة حقيبة يدها الصغيرة متوجهة صوب دورة المياه..

في الممر وبالقرب من دورة المياه تمهلت خطوات (أميرة) طويلاً حتى يظهر (احمد) رئيس قسم العلاقات العامة بالشركة، ولكن بدلا منه ظهر الأستاذ (ناصر) موظف الأرشيف يأتي مهرولاً يتصبب عرقاً، وتظهر عليه علامات الاعياء، وما أن رآها حتى أخفض رأسه بأدب جم مصافحاً إياهاً قائلاً:

- أهلاً أستاذة أميرة.. ازاي حضرتك؟

لم ينتظر أن ترد عليه وانحرف مسرعاً إلى دورة المياه، وما لبث أن تأكد من إغلاق باب دورة المياه بإحكام حتى تغيرت ملامحه وصار كأحد فرسان المعبد بالقرون الوسطى، فأخرج من جيبه الهاتف المحمول واختار منه رقماً بلا اسم، ثم حدثه بصوت قويٌ واثق من نفسه:

- أيوة يا استاذ.. لقيتلك المطلوب.. خللي صاحبك يقابلني بعد ساعة عالقهوة.. وفهمه اني مش هاخد خمسين ولو مش عايز بلاش.. انت فاهم وانا فاهم.. مع السلامة

بينما كانت (اميرة) واقفة أمام باب دورة المياه تقلب بين اغراض حقيبتها وكأنها تبحث عن شيئ، وصل (احمد) في هيئته الأنيقة، حينئذ تصافحا بإبتسامات صفراء تليق بتلك الصدفة المصطنعة، وما أن سحبت كفها من راحة يده حتى انتقلت الميدالية الفضية بمفتاحيها إلى يده، فغادرها على الفور واضعاً الميدالية في جيب بنطاله، ثم أمسك بهاتفه الجوال ليتصل

بها وهي تبتعد:

- *برافو عليكِ.. متتأخريش بقه عشان الأذن مايرحش أونطة..*

- *حاضر.. بس ماتخربش في البيت لحد ماجيلك.. وابقه هات مفاتيحك معاك..*

طرقت (اميرة) باب المدير ودلفت إلى الداخل بخطى مرتعشة:

- *أهلا أميرة.. خير؟*

- *خير يا فندم.. أنا كنت بستأذن حضرتك أمشي بدري عشان مدرسة الولد كلمتني وقالولي انه تعبان شوية*

- *آه طبعاً.. اتفضلي روحي بسرعة.. وطمنينا عليه لما توصلي بالسلامة*

خرجت (أميرة) من مكتب (أ/محمد) تحاول ان تخفي ابتسامتها، ثم هرولت إلى خارج الشركة وقلبها يخفق فرحاً..

بعد خمس دقائق طرق (حسين) باب مكتب (أ/محمد) ودلف إلى الداخل ممسكاً ببطنه:

- *أهلا حسين.. خير؟*

- *والله يا استاذ محمد انا بطني تعبانة جدا من الصبح ومحتاج اعمل اذن عشان أكشف*

- *اه فعلاً انت كان باين عليك.. عينك كمان دبلانة وزي ما تكون ملتهبة.. انت بتسهر كتير؟*

- *لا خالص.. مرات قليلة..*

- *ممم.. ممكن تكون لقطت ميكروب أو اكلت حاجة مش نضيفة.. انت*

لازم تروح للعيادة تكشف فوراً.. اعمل اذن انصراف وطمنّي عليك بعد ما تكشف

ما كاد ينصرف (حسين) من مكتب المدير حتى دخل (أ/ناصر) وعلى وجهه علامات الجدية والصرامة:

- *السلام عليكم يا أ/ محمد*
- *وعليكم السلام ورحمة الله.. خير يا أ/ ناصر؟*
- *خير يا فندم.. بستأذن سعادتك ساعة أوصل لمخزن الملفات عشان أحضر ملف شركة النور*
- *اه طبعاً.. أتفضل*
- *حضرتك ما تأمرش بحاجة اجيبها معايا؟*
- *لا.. شكرا.. توصل بالسلامة.. وطمنّي بعد كده عملت ايه*
- *حاضر يا فندم*

بعد ثلاث ساعات..

مكث (حسين) في غرفة نومه صامتاً يدفن وجهه بين راحتيه، وانهمرت العبرات اسفل جفنيه حتى بللت ساعديه، فربطت أمه على كتفه بأسى شديد قائلة له:

- *وأخرتها يابني..؟؟! لازم تقوللهم عندك في الشغل..*

خرج صوت (حسين) متحشرجاً:

- *ما ينفعش.. ما ينفعش أقوللهم.. دول لما هيصدقوا ويقولولي قدم استقالتك لأنك مش قادر تشتغل.. وبعدين يعيّنوا حد تاني غيري.. ده غير*

انهم اكيد مش عايزين يتحملوا تكاليف علاج مرض مزمن.. انتِ نسيتي إن عليَّ قرض مفروض اسدده!

- يابني من حقك تتعالج.. هو فيه انسان سالم من المرض! ده أمر ربنا وياما فيه ناس انصابت بأكتر من كده..

- وهو ليه ربنا يأمر بأني أمرض بمرض اسمه بهجت!

*- يابني حرام عليك ماتكفرش بربنا.. غمة وتزول.. وزي ما جالك بهجت ده من غير سبب ممكن يروح من غير سبب **

- أنا تعبت.. والدوا المُسَكن بيخليني عامل زي التايه.. انهاردة المدير أخد باله وسألني وقلتله ان عندي وجع في بطني ورايح اكشف..

احتضنت الأم ابنها الشاب وأخذت تقرأ عليه بعض من آيات القرآن وتدعو له بالشفاء، بينما استمر (حسين) في البكاء على صدر امه..

*مرض بهجت هو التهاب مناعي يصيب الأوعية الدموية.

على مقربة من الشركة وأمام مقهى بلدي صغير وقف (رامي) أحد الموظفين الجدد المعينين بالشركة ينتظر بلهفة قدوم أ/ناصر، وبعد دقائق أتى إليه أ/ ناصر حاملاً تحت إبطه حافظة أوراق وكأنها كنز من ذهب.

تهللت أسارير (رامي) قائلاً:

- أ/ ناصر.. بجد انت عظيم..

- بص يا عم رامي.. آدي الملف بتاعك.. انا صورتهولك كله وكدة مش هتلف كتير عالمكاتب

- معرفتش تجيب الأصول؟

- ما انا قلتلك.. الأصول ماتنفعش تخرج إلاّ بورق مختوم..

- عموما كده قشطة جدا.. انا مش هنسالك الجِميلة دي

- يلا يا عم.. ربنا يوفقك وافتكرنا لما تسافر وادعيلنا لما تزور الحرم وبيت النبي

- أكيد أكيد..

ثم أدخل (رامي) يده في جيبه وأخرج ورقة نقدية فئة المائة جنيهاً وضعها في جيب قميص (ناصر) قائلاً:

- شكرا يا استاذ ناصر

ابتسم (ناصر) شاكراً:

- ماتخللي.. مفيش داعي يعني..

- ربنا يخليك للشباب الغلابة

قالها قبل أن يتركه مسرعاً ليستوقف أول سيارة أجرة صادفته، عندئذٍ أخرج (ناصر) الورقة النقدية من جيبه وتفحصها جيداً، ثم سار والابتسامة تعلو وجنتيه حتى توقف عند محل الجزارة:

- سلام عليكم حاج درويش..

- وعليكم السلاام ورحمة الله وبركاته.. أ/ نااصر.. عاش من شافك يا راجل.. انت فين؟!.. اتفضل..

- يزيد مقدارك..

- *دوش ولا بيت كلاوي؟*
- *بيت كلاوي..*
- *عيني.. اتفضل اقعد.. دانت لك وحشه..*

إنحشر سائق السيارة الأجرة في زحام كوبري (٦ أكتوبر) وظهرت علامات الضيق على وجه (أميرة) التي أخذت تنظر في ساعة يدها وصوت أنفاسها يعلو في كل مرة يضغط فيها السائق على المكابح (الفرامل)، حتى وصلت إلى العمارة التي تسكنها بحي (العجوزة)، مشت خطوات قليلة وألقت بنفسها داخل المصعد قبل أن يطلبه أحد السكان، ثم إرتقت إلى الدور الخامس لتضغط على جرس الشقة رقم (٥٣) فيفتح (احمد) لها الباب بإبتسامته العذبة ويسألها بقليل من الضجر:

- *أتأخرتي ليه يا مصيبة؟*
- *المصيبة دي كذبت عشان خاطرك انهاردة*
- كذبتِ؟!
- *أيوة كذبت وقلت للأستاذ محمد ان الولد عيان ورايحاله المدرسة..*
- *بعد الشر يا شيخة.. فيه حد يقَّوِل على ابنه كده!*
- *أعملك ايه.. هو ده اللي جه في دماغي ساعتها.. وبعدين لازم حجة قوية عشان الناس في الشركة ماتفهمش اني خارجة وراك.. أنا بكون مكسوفة جداا لما حد بياخد باله اننا عاملين اذن انصراف ومروحين بدري..*
- *طيب يلا بقه عشان نلحق قبل هشام ما يرجع من المدرسة.. ده احنا ما*

صدقنا فرصة يتيمة

- أيوة والله عندك حق.. من ساعة ما هشام كبر واحنا محتاسين.. ولا كأننا متجوزين

- معلش هي خلفة العيال كده.. ربنا يخليلنا أذون الانصراف

في يوم العمل التالي..

جلس (أ/محمد) على قمة طاولة الاجتماعات، وكعادته بدأ ببعض (القفشات) التلفزيونية المملة، وكالعادة أيضاً ضحك كل الحضور مجاملة له وإحتفاءً بأرضية المكان التي تهتز مع اهتزاز جسده البدين، وبروح الود والمحبة تساءل عن حال ابن (مدام أميرة)، وعن صحة (حسين)، فأجابت (اميرة) بأن حالة الولد تحسنت وهو الآن على ما يرام، وأجاب (حسين) بأن الطبيب لم يكن موجودا وأنه سيذهب إليه في عطلة نهاية الأسبوع.

بدأ (أ/محمد) في طرح خططه وطموحاته اليومية، ثم نظر إلى موظفي إدارته وتحدث إليهم بغلظة:

- بصراحة موضوع أذون الانصراف ده زاد جداً الفترة اللي فاتت ولازم..

قاطعه رنين هاتفه المحمول، فرد على المتصل معتذراً للحضور، ودار حوار قصير ارتفعت معه نبرة صوته، وفي غضون لحظات قليلة تحولت ملامحه إلى العبوس، ثم رد على المتصل بحدة:

- أنا مش فاهم ليه بقوانينهم الغبية بيدفعونا للكذب في أبسط الأمور؟! هو يعني الواحد ماينفعش يكون دوغري أبداً!

أنهى (أ/محمد) مكالمته الهاتفية ناظراً إلى موظفي إدارته بشيئ من الريبة، وظهرت عليه علامات التوتر، فوجه إليهم حديثه قائلاً بصرامة:

- كنت بتكلم عن اذون الانصراف.. بصراحة موضوع أذون الانصراف ده زاد جدا الفترة اللي فاتت ولازم ناخد بالنا ونقلل منه شوية..

ثم نظر في أعين الحاضرين بحدة قبل أن يردف قائلاً:

- عشان كده أنا قررت..

إني هعمل إذن انصراف وهمشي بدري انهاردة..

هاهاهاهاهاها

مورانو

على مقعدها المفضل بصالة المعيشة ألقت (روان) بنفسها أمام المكتبة الكلاسيكية الأنيقة تزمجر داخل غابة من الضجر فتتلاشى كل الأصوات من حولها ويخرج الأنين من حنايا جسدها الذي صار كقطعة البارود تنتظر شرارة واحدة لتنفجر بزئير يتصدع منه كل ما حوته تلك الشقة العتيقة التي ورثتها عن أبيها الأستاذ الجامعي صاحب السيرة الطيبة.

إلتقطت (روان) علبة (المارلبورو) وأخرجت سيجارة أشعلتها بتوتر شديد، قبل أن تلتفت إلى إرتعاش هاتفها الجوال الذي أظهرت شاشته إسم (كريم)، فضغطت بإصبعها لتجيب بصوت غاضب:

- *إنت فين يا بني آدم من الصبح؟!*

- *كنت في حصة وماعرفتش أرد عليكِ.. خير فيه إيه؟*

- *الشكولاتة خلصت ومحتاجة ضروري انهاردة*

- *لا إنسي.. مش معايا غير واحدة فلوت وهقرقشها في حفلة بالليل..*

إحتدت (روان):

- *مليش دعوة.. إتصرف*

- *لو ضروري ممكن اظبطك في كيسين إسبايسي..*

- *ماشي.. أي حاجة.. بس بسرعة قبل ما أطلعهم عليك*

- *المرتب خلص ومحتاج فلوس..*

- *يادي القرف.. محتاج كام؟*

- *متجيبي أستك وهشهيصك بباكته جملة..*

زفرت (روان) نفساً طويلاً ثم قالت:

- *أنا مش فاهمة إنت ازاي يعينوك مدرس!*

رد ساخراً:

- *وحياتك ولا أنا فاهم*

- *خلاص قابلني بعد ساعتين في الكافيه*

- *خليهم تلات ساعات على ما أخلص الحصص وأجيلك..*

أخرجت (روان) حافظة النقود من حقيبتها وفتشت بين أوراقها فلم تجد أكثر من خمسمائة جنيه، فأغلقتها وقذفتها بعيداً، ثم أسندت ساعدها الأيمن على ذراع المقعد وبغِلٍ قضمت قبضة يدها بشفتيها ناظرة إلى جدران المنزل الذي أصابته الشيخوخة وإصفرَّت أسنانه وصار وجهه مليئ بالتجاعيد والثنايا، فبحثت بحيرتها وخيبة أملها بين سنوات تجلس فيها داخل تلك الجدران في إنتظار أن تُغطَى ثقوبها يوما بزينة عرس يبهج أثاث بيت لم يطرأ عليه أي تغيير منذ خمسة عشر عاماً، ولكن الفرح لا يأتي وكأنه قد فارق البيت منذ أن رحل من راعاه.

دارت بعينيها بين كل قطع المنزل حتى أستقرت عيناها على قطعة زينّت الرف العلوي للمكتبة، إنهما زوج المورانو الرتيب..

شاب وفتاة صنعا بيد صانع إيطالي ماهر يسكن جزيرة (مورانو)، تلك الجزيرة التي زارها الأب في إحدى بعثاته الدراسية، وجلب منها تلك القطعة الفنية، ومنذ عودته بقيا زوج المورانو الأنيق أعلى الرف يرفعان ساعديهما ليشكلان معاً شمعداناً مزركشاً يستعد لحمل شموع الفرح، ولكن الفرح لم يأت وتظل العروس المزينة جامدة من غير شموع.

هبت (روان) من مقعدها وشبت على أطراف أصابعها لتخطف قطعة المورانو من أعلى الرف، ثم أخرجت قطعة مناديل ورقية بللتها بقطرات

من الصنبور، ومسحت بها الأتربة العالقة على التمثالين برفق شديد، ثم أفرغت إحدى الحقائب البلاستيكية ووضعت القطعة بداخلها قبل أن تفتح باب الشقة وتخرج مسرعة..

داخل متجر الهدايا والعطور مكثت (روان) طويلاً في محاولات لإقناع (عم شفيق) صاحب بالمتجر بأن تحفة المورانو هذه لا تقل قيمتها عن خمسة آلاف جنيه، إلاّ أنه أبى أن يأخذها بأكثر من سبعمائة جنيه مبدياً إستيائه من قدمها وعدم تقدير أهل المنطقة لقيمة هذا النوع من التحف، فإرتضت روان بالمبلغ وإنصرفت متوجهة إلى (الكافيه)، بينما جلس (شفيق) يدقق في قطعة المورانو قبل أن تسأله زوجته بصوتها الحاد الذي يشبه طنين الذباب:

- *يستاهل الشمعدان ده عشان تدفع فيه سبعميت جنيه؟!*

أجاب (شفيق) بإستهزاء:

- *هتفضلي طول عمرك عبيطة.. عارفة الحتة دي تساويلها كام في بلدها؟*

- *كام يعني؟*

- *مش أقل من تلتميت دولار.. يعني حوالي ست بواكي*

نظرت الزوجة إلى القطعة بإستنكار ثم قالت:

- *ودي هنبيعها ازاي هنا؟! هو فيه حد بيشتري غير الصيني؟!*

- *مش هبيعها هنا.. عندي زبونها*

أخرج (شفيق) هاتفه الجوال، ثم تغيرت نبرة صوته ليتحدث بعذوبة بالغة قائلاً:

- مدام أميرة.. إزاي حضرتك؟..

- إزايك يا شفيق..

- عندي ليكي حتة مورانو إيطالي أصلي هتعجبك قوي وهتنور فاترينة الكنز

- حقيقي؟!.. طيب قابلني في الجاليري بالليل وهاتها معاك.. ولو عندك حاجات تانية هاتها

لم يكد (شفيق) ينهي محادثته حتى خطفت منه زوجته الهاتف الجوال وشرعت في تصوير القطعة، فنظر إليها بدهشة متسائلاً:

- بتعملي إيه يا ولية يا مجنونة؟!

- بصور الشمعدان المارانا ده

- مارانا!! وبتصوريه ليه؟!!!

- هبعت صوره للواد حمدي في الصين عشان يعملولنا زيه ونبيع منه في المنطقة..

على أنغام قناة الأغاني الشهيرة جلست (روان) تدخن الشيشة داخل إحدى المقاهي الأجنبية بحي المهندسين في إنتظار (كريم) الذي أتى كعادته مبتسماً حاملاً حقيبته السوداء، ثم إقترب يقبلها في وجنتيها قبل أن يجلس بجوارها واضعاً لفافة صغيرة في كفها..

رمقته (روان) بنظرة إستهجان قائلة:

- هو مفيش غير الزفت الأسبايسي ده!

- بقلك إيه.. الفودو هو اللي ماشي اليومين دول وسِكتُه سالكة

- بس ده بيعملي صداع وبطني بتقلب منه..

- بطلي شغل الفرافير.. جبتي الفلوس؟

- أنا بالعافية عرفت اجيبلك تُمنميت جنيه..

ثم أخرجت (روان) النقود من الحافظة، فيما مكث (كريم) ينظر إليها باشمئزاز، ثم قال:

- أنا هجيبلك حشيش يكفيكي الشهر كله.. بلاش إستهبال

باستعطاف: *- هم دول اللي معايا وإنت كريييييم؟*

إبتسم (كريم) وعاد لهدوئه مرة أخرى، ثم أمسك بالنقود قائلاً:

- ماأنا عارف من أيام الكلية إنك واقعة عليَّ بخسارة..

- هي دي ضريبة الزمالة.. وبعدين أنت على قلبك قد كده من الدروس الخصوصية

قالتها وهي تحاكي حجم البطيخة بيديها، ثم أردفت بقاذفات من الحسد تنطلق من مقلتي عينيها:

- وديني لأبلغ عنك الضرايب ووزارة التعليم وكل الوزارات وهقلهم على الطلبة تجار المخدرات اللي بتدرسلهم

ضحك (كريم) سائلاً:

- قوليلي بقه مالك؟.. صوتك كان وحش قوي في الموبايل وشكلك مضروبة شبشب..

تنهدت (روان) زافرة صاروخاً أبيض من دخان الشيشة ثم قالت:

- صاحب الشركة الغبي حاول معايا إنهاردة فلطشته بالقلم وحدفت الملفات في وشه.. وكالعادة بقيت صايعة من غير الشغل..

- وليه عمل كده فجأة؟.. ما إنتِ كنت قصاده بقالك سنة! إشمعنى انهاردة؟!

- البشمهندس جاب موزّة جديدة بتعرف تدلعه وعيّنها بضعفين مرتبي وعشان مايقوليش مع السلامة ويبقه شكله وحش قصاد الناس.. قال يجرب معايا.. وإن رضيت يبقه تمام.. وإن مارضتش يبقه أنا اللي مشيت من نفسي وإنقطعت عن العمل..

سكت (كريم)، بينما استطردت (روان) بأسى:

- أنا نفسي أفهم.. أنا لبسي محترم وشايفة شغلي كويس.. ليه بيحسبوني رخيصة؟! ما هو أنا لو كنت كده ماكنتش أشتغل سكرتيرة في مكتب استشاري هندسي بمرتب أي كلام.. هم الرجالة مالهم حصلهم إيه؟!!

لمعت عينا (روان) وتأهبت للبكاء إلاّ أن (كريم) باغتها قائلاً:

- إنتِ قولتيلي قبل كده إنه شبه سيد بيه قشطة.. وإحتمال كبير بعد ما تخنتي الفترة اللي فاتت شاف فيكِ أنثى أحلامه.. وإنتِ عارفة إن القشطة لما بيشوف أنثى الغوريلا في موسم التزاوج بيصاب بحالة من الهياج بيكون من الصعب فيها السيطرة عليه..

- إنت حيوان..

قالت (روان) ذلك قبل أن تبتسم وتتخلص من بعض الضيق على وجهها، فرد (كريم):

- وماله.. تصدقي إن الحيوانات أرقى في تصرفاتهم من ناس كتير عايشين وسطينا..

بذمتك عمرك شفتي حيوان بيحشش أو بيضرب خلطة أعشاب ويسميها

باسم تعويذة سحرية ويعبيها في أكياس ويقول عليها اسبايسي؟؟

- لأ

ضحك (كريم) قائلاً:

- يبقه تضربي كيسين الفودو اللي معاكِ وتتخيلي إننا إتسخطنا حيوانات.. يمكن ساعاتها أقدر أتزاوج مع نرمين من غير ما أحتاج أشتري شقه بمليون جنيه.. وإنتِ كمان يجيلك حيوان طيب ابن حلال تتزاوجوا سوا وتخلفوا حيوانات صغيريين..

* * *

أمام جاليري (كنز الأميرة) بحي المعادي توقف (شفيق) قليلاً ليعدل من هيأته ويتحسس شعر رأسه، ثم دفع الباب الزجاجي برفق ليتقدم خطوات نحو (منال) منسقة الجاليري ليطلب مقابلة (مدام أميرة) صاحبة الجاليري، فأشارت إليه الفتاة بالجلوس والإنتظار حتى أتت إليه مقدمة البرامج المعروفة في حلتها الأنيقة، وبعد حوار معتاد تخلله العديد من الأسئلة عن أحوال السوق أخرج (شفيق) تحفة المورانو من صندوق أنيق وضعها فيه ليزيد من قيمتها، إلاّ أن (أميرة) لم تأبه لخدعته المعتادة وتفحصت القطعة ملياً ثم قالت بصوت خبير:

- القطعة دي صناعة قديمة

أجاب (شفيق) بصوت مضطرب:

- أنا قلت إن مفيش غير مدام أميرة اللي هتقدر الأصلي.. وعموما صاحبتها بنت جارتنا ومستغنية عنها وبتقول انها اشتريتها من إيطاليا من ييجي خمستاشر سنة

قلبتها (أميرة) بين يديها مرة أخرى ثم قالت:

- هاخدها منك بألف جنيه

(شفيق) منزعجاً:

- والختمة الشريفة حضرتك أنا دافع فيها ألفين ونص وقلت مستحيل تروح غير لكنز الأميرة

لم تأبه (أميرة) لحلفه المعتاد، وأنهت الحوار بلهجة قاطعة:

- هخدها منك بألفين وتلتماية.. وده آخر كلام

طأطأ (شفيق) رأسه قالاً:

- إللي تشوفيه يا مدام أميرة.. أنا ماقدرش أزعل سيادتك ولو ببلاش برضه هكون مبسوط

أشارت (أميرة) بسبابتها إلى (منال) أن تعطيه المبلغ وقالت له:

- لو عندك أي بضاعة شغل يدوي كلمني.. الHand Made مطلوب اليومين دول

* * *

بعد أمسية برائحة (الفودو) أمضتها (روان) بين خيالاتها إستيقظت في اليوم التالي على صوت أمها (خديجة) والتي صاحت بغضب:

- إصحي يا هاانم.. الساعة اتنين الضهر.. إصحي يا صايعة.. وديتي التمثال فين؟؟؟

حدقت (روان) بوجه أمها الثائر في محاولة لتجميع أطراف خيوط شبكة الأحداث التي مزقتها أعشاب الفودو، ثم أجابت بصوت يأتي من أعماق غيابات سحيقة:

- إنتِ رجعتِ من برة؟ إيه بس مالك يا ماما.. فيه إيه عالصبح؟ تمثال ايه؟؟!

- تمثال المورانو الشمعدان اللي في الصالة برة

- آه.. التمثال القديم بتاع العريس والعروسة؟

- فينه؟؟؟

أجابت (روان) بسخرية: *- بعته*

وجمت الأم ولم تنطق ببنت شفه، وجلست على المقعد في ذهول وهي تتمتم ببعض الكلمات، فسألتها (روان) بإستنكار:

- إيه الصدمة فكدة.. تمثال إزاز قديم.. التراب عماه.. بِعته وأخدت فلوسه عشان أصرف عالبيت

صرخت الأم في وجهها:

- إزاي تبيعي حاجة مش بتاعتك!.. ده تمثال أبوكِ الله يرحمه اللي جبهولي هدية قبل ما يموت.. رايحة تبيعيه عشان تصرفي فلوسه على الزفت اللي بتشربيه؟؟!!!

- زفت ايه اللي بشربه؟!

صرخت الأم مرة أخرى:

- المخدرات.. انتِ فاكراني مش عارفة إنك بقيتي صايعة وحشاشة.. ده بدل ما تتجوزي زي صحباتك وتبني بيت وأسرة.. رايحة تتعاطي..

قاطعتها (روان) بحدة:

- كفاية.. كفاية حرام عليكِ.. أكملك الاسطوانة.. سني بقه ستة وتلاتين سنة ومحدش راضي يبصلي.. البنات كلها اتجوزت وبقه عندها عيال

طولها.. لكن انا الفاشلة ومش فالحة في أي حاجة.. نفسك تفرحي بيَّ قبل ما تموتي وتطمني عليَّ.. لكن أنا بنت ستين.. مش عايزة أتجوز ودايرة على حل شعري.. ها.. اقلك كمان ولا كفاية؟؟!!

خرجت (روان) من الغرفة في حالة هستيرية وأشارت بيدها إلى المكتبة مردفة:

- ودي المكتبة اللي بقالها أكتر من خمستاشر سنة ماتحركتش من مكانها.. تمام زيي أنا من ساعة ما إتخرجت من كلية الأداب.. والتمثال المورانو قاعد فوق هنا مستني الفرج.. عشان يفكرني دايما بأن بابا الله يرحمه كان نفسه يفرح بيَّ.. وجابهولك هدية وقالك يا خديجة لما البنت يجيلها ابن الحلال وتتجوز حطيلها التمثال المورانو جوة النيش.. عريس وعروسة من فينيسيا عاملين بإيديهم شمعدان ينور شموع حياتها هي وجوزها.. جوزها..

هرعت (روان) نحو باب المنزل وأشارت إليه صائحة:

- جوزها إللي دخل من الباب ده وكتب الكتاب وسافر برة مصر.. جوزها إللي سابها قبل الفرح.. جوزها اللي حبيته وربطت حياتها بِه وراح إتجوز واحدة أجنبية قد أمه عشان تصرف عليه.. جوزها إللي ماإنكتبتش يكون جوزها غير على الورق..

إنهارت (روان) بالبكاء، بينما ظلت الأم جامدة تتجرع مرارة الأسى، فدفعت ساقيها وكأنما تصعد جبلاً صخري لتأوي إلى غرفتها في صمت رهيب.

* * *

إنعكست أضواء البروجيكتور من تحفة المورانو أعلى منضدة أنيقة جلست أمامها الإعلامية (أميرة نورالدين) بزيها الغير تقليدي لتقدم برنامجها المعروف (ثورة الخير) من أحد المنتجعات السياحية الفخمة المملوكة لشركة يديرها زوجها (عادل محمود)، وبعد أن إنتهى البرنامج رفعت (أميرة) صوتها منادية على أحد العاملين:

- لملي كل التحف بسرعة وأشحنهالي في العربية.. وأوعى حاجة تنكسر

إقترب رجل الأعمال ضيف البرنامج من (أميرة) ومال إلى أذنها سألاً بلطف:

- جميلة جدا التحف دي..هي تخص حضرتك؟

لمعت أسنان (أميرة) ناصعة البياض وهي تجيب مبتسمة:

- آه.. لو عجبوا حضرتك ممكن أخليهم يوصلوها لسيادتك مكان ما تحب.. أو حضرتك ممكن تشرفني في الجاليري بتاعي في المعادي وتتفرج على الكُلكشن الجديد..

ثم أخرجت كارت ورقي صغير من حقيبتها قائلة:

- ده إسم وعنوان الجاليري.. كنز الأميرة.. حضرتك ممكن تشرفني في أي وقت

أمسك رجل الأعمال بالكارت منتشياً ثم سألها:

- هو البرنامج هيتذاع إمته؟

- بكرة بالليل

- يبقه نتقابل في الجاليري بعد البرنامج

- تنورني في أي وقت

مرت ساعات كئيبة في منزل الأستاذ الدكتور (فؤاد القناوي) بحي (شبرا)، شهد فيه باندول الساعة التراثية القديمة نحيب الأم (خديجة) التي لم تنم وأخذت تفكر فيما ستقوله لزوجها حين تلقاه بعد حين، فنظرت الزوجة الثكلى إلى صورة زوجها المعلقة على الحائط داخل برواز خشبي مزركش وكأنها تراه لأول مرة، ثم تحدثت إليه:

- بنتك يا فؤاد باعت التمثال الشمعدان المورانو..

أغمضت (خديجة) عينيها تسدل ستاراً على مسرح الحاضر لتعود إلى دهاليز الماضي فتختار غرفة العام التاسع عشر لزواجها حينما إستعدت الأسرة الصغيرة لأن تخوض (روان) إمتحانات الثانوية العامة، فتفاجأت (خديجة) بالأب يشتري سماعة طبيب وجهاز قياس ضغط الدم ويضعهما على المنضدة بصالون المنزل تيمناً وإستبشاراً بإقتراب الإبنة المتفوقة من الإلتحاق بكلية الطب، ولكن (روان) خيبت رجائهما، فبعد سلسلة من الدروس الخصوصية المكثفة، وبعد شراء كل كتب المراجعة بالمكتبات، وبعد أن تنبأ لها الأساتذة بأعلى الدرجات، أصيبت الإبنة بحمى مفاجئة أفقدتها التركيز وجعلت من إمتحانات الثانوية العامة كابوساً إستيقظ منه الوالدان على نتيجة صادمة، جعلتهما يرتضيان لأبنتهما بكلية الأداب غير مكترثيّن بأي نتائج قادمة.

هبت الأم نحو البرواز الخشبي فعكست وضعيته وجعلت صورة زوجها إلى الحائط، ثم نفذت أناملها داخل بطانة الخلفية المحشوة لتخرج منها أوراقاً نقدية ملفوفة بإحكام..

دفعت (خديجة) باب غرفة (روان) بقوة ممسكة بالأوراق النقدية قائلة:

- دول ألفين جنيه.. أصرفي بهم على نفسك ورجعيلي الشمعدان المورانو
نظرت (روان) إلى الأم بأسى ثم قالت:
- خللي فلوسك معاكِ يا ماما.. أنا هحاول أرجعه بكرة..
قذفت الأم بالنقود إلى جوارها وقالت بحدة:
- أنا عارفة إنك صرفتيهم على الهباب إللي بتشربيه.. خدي الفلوس ورجعيلي حاجتي
إنصرفت الأم تاركة (روان) في حيرتها تدور كعقارب الساعة في حيز ضيق لا تدري كيف تخرج من هذا المأزق، ففتحت (روان) خزنة ملابسها الكلاسيكية وأخرجت أسورة ذهبية وضعتها بحقيبة يدها وسرعان ما توجهت إلى متجر الهدايا والعطور، وبعد نصف ساعة من الجدل المتواصل لم تستطع (روان) الوصول لشيئ، فقد أقسم لها (شفيق) بأنه قد باع القطعة لسيدة غريبة لا يعلم عنها شيئاً، فغادرت (روان) المتجر بخفي حنين وضاقت بها الدنيا إلى حيز لا تدري فيه سبلاً للفرار.

* * *

ظُهر اليوم التالي وبالقرب من جاليري (كنز الأميرة) توقفت سيارة (عيوش) نائب مدير التسويق بإحدى شركات التسويق العقاري، وخرج منها متوجهاً صوب مكتب أحد كبار العملاء بنفس الشارع، وبينما يتخطى أتربة وأوساخ الرصيف خوفاً على لمعة حذائه الكلاسيكي لمح تحفة المورانو خلف زجاج فاترينة الجاليري، فتوقف قليلاً قبل أن يقرر الدخول للسؤال عنها.
في ركن من أركان الجاليري وعلى كرسي خشبي مُطعم بالصَدف

جلست (منال) تقرأ في أحد كتب تاريخ الفن إستعداداً لإمتحانات الترم بالدراسات العليا، فقد كانت منسقة الجاليري الفتاة الأولى على دفعتها بكلية الفنون الجميلة ولكن لضرورة تعيين أحد الشباب كمعيد بتوصية من أبيه الأستاذ بنفس الكلية تم إستبعادها وعدم استصدار قرار بتعيينها معيدة بحجة عدم حاجة القسم لمعيدين من شعبتها في تلك السنة، وتم تعيين إبن الأستاذ الدكتورمعيد في الشعبة الأخرى، ولكن (منال) لم تيأس وقررت إستكمال الدراسات وعدم إهدار الوقت على أمل أن يتم تعيينها لاحقا، فكانت تعمل في جاليري (كنز الأميرة) لتوفير المال اللازم للإنفاق على إحتياجاتها، وتختلس الدقائق والساعات لتنجز ما تتطلبه الدراسات العليا للحصول على درجة الماجستير.

تقدم (عيوش) خطوات نحو (منال) سائلاً:

- لو سمحتِ.. بكام تمثال الولد والبنت الإزاز الملون برة في الفاترينة؟

- بستة آلاف جنيه وعليه عرض خصم خمستاشر في المية لفترة محدودة.. يعني هيبقه بحوالي ألفين خمسماية وخمسين جنيه

إنعقدا حاجبا (عيوش) قائلاً:

- ليه؟! مش غالي شوية حضرتك؟

أمتعضت (منال) مجيبة:

- حضرتك ده مصنوع يدوياً من إزاز المورانو الإيطالي الأصلي الملون.. ومش بس تمثال لبنت وولد ده كمان بيستخدم كشمعدان

سكت (عيوش) قليلاً وتذكر محاولته للهجرة الغير شرعية إلى إيطاليا منذ سنوات، والتي تراجع عنها بعد بيع بيت جده القديم، ثم إلتفت إلى تحفة

الموارنو سائلاً الفتاة:

- ممكن أشوفها عن قرب؟

- طبعا

تفحص (عيوش) القطعة جيداً، وبعد محاولات مضنية لتخفيض السعر إستطاع (عيوش) أن يخفض سعرها إلى أربعة آلاف وخمسمائة جنيه بموافقة (مدام أميرة) على الهاتف، فإشتراها بفرحة محدثاً نفسه:

" أنا صحيح ماقدرتش أروح فينيسيا ولا أشوف جزيرة مورانو.. بس أهه المورانو جالي لحد عندي"

و قبل أن يغادر (عيوش) الجاليري طلبت منه (منال) تسجيل بياناته في سجل العملاء الألكتروني للإتصال به في حال وجود عروض أخرى جديدة، وأثناء التسجيل أثنت (منال) على إختياره للقطعة وحكت له تاريخ جزيرة (مورانو) الإيطالية وكيفية تصنيع الزجاج يدوياً، وكيف أن تلك الصناعة جذورها تضرب في أرض الشعوب والحضارات القديمة التي عاشت في أسيا والشرق الأوسط مثل الحضارة المصرية القديمة وحضارة الفينيقيين (لبنان) حتى إنتقلت إلى جنوب أوروبا وإزدهرت في القرون الوسطى عندما إجتمع الصناع إجبارياً في جزيرة (مورانو).

* * *

إستيقظت (روان) على صوت صديقة طفولتها (أماني)، وبعينين يقاومان نور المصباح حاولت (روان) إيجاد حل للغز المكان الذي تتواجد فيه، فخرج صوتها متحشرجاً:

- أنا فين؟

صاحت (أماني):

- *يا خراابي.. إنتِ هنا عندي في البيت في مدينة العبور من إمبارح*

- *أيه ده؟! انا جيت إزاي..؟؟*

- *جيتي إمبارح بتاكسي وكانت حالتك صعبة ومعاكِ تموين يدخلك السجن عشر سنين..*

أمسكت (روان) برأسها تتحسسها وكأنها تتأكد من إستمرار بقائها على كتفيها، ثم إعتدلت لتنهض رويداً رويداً حتى إستقامت، ولكن سرعان ما فقدت توازنها وهوت إلى المضجع مرة أخرى.

لم تتذكر (روان) بأنها قد باتت عند صديقة طفولتها (أماني)، في محاولة للهروب من مواجهة مريرة بأم غاضبة لن تتراجع عن كشف عورات خيبتها وفشلها المستمر، باتت (روان) تتجنب الإحتراق كسيجارة الحشيش في ليالٍ تملأها الأوهام، فإختار عقلها غير الواعي بيت (أماني) لتسوقها قداماها إليه تحت مظلة من اليأس الكثيف، فلم تعد (أماني) مجرد صديقة وإنما هي قرينتها في عالم فشل آخر، ففي نفس اليوم الذي علمت فيه (روان) بأمر تطليقها من زوج وهمي، طُلقت (أماني) من زوجٍ حقيقي صفعها أمام أهله لإرضاء أمه و إخوته.

بات إسترجاع قطعة المورانو أمراً شبه مستحيل، وصار الهم الأكبر هو إرضاء الأم المسكينة بالأمر الواقع، فتمر الساعات بطيئة لا تتوقف فيها (روان) عن التدخين، ولا تتوقف فيها أماني عن سرد قصص زوجها البغيض الذي إنصاع لأوامر أمه، حتى دنا منتصف الليل فإذا بـ (روان) تشهق وتصيح:

- الشمعدان المورانو.. يا أماني.. إلحقيني التمثال الازاز أهه ورا المذيعة على اليمين..

هرعت (أماني) إليها وأمعنت النظر في شاشة التلفاز ثم قالت:

- تصدقي فعلا هو التمثال ..

لم تمض ساعة حتى قامتا الصديقتان بشن حرب من الإتصالات الهاتفية بالقناة التليفزيونية، حتى ظفرتا بعنوان الجاليري الخاص بمقدمة البرنامج، وقررتا الذهاب إليه سوياً مع بزوغ الشمس..

* * *

عاد (عيوش) إلى منزله في مدينة السادس من أكتوبر حاملاً صندوقاً مزركشاً بداخله تحفة المورانو، لم يكد يفتحه حتى صارت قطعة الزجاج تتقلب بين يدي زوجته (نسمة) كالعربات الكهربائية في ملاهي (دريم بارك)، فخطف منها (عيوش) القطعة قائلاً:

- واحدة واحدة بشويش عليها.. دي ممكن تتكسر.. ها إيه رأيك؟

- حلوة..

- حلوة بس؟

- شكلها غالية

- آه هي فعلا غالية

- بكام يعني؟

- حزري..

- مممم.. ربعميت جنيه؟

إنعقدا حاجبا (عيوش) في استهجان شديد ثم قال:

- هو ده آخر تصورك في سعر التحف؟!!

- ليه؟ هي أغلى من كدة؟!!

أجاب (عيوش) منزعجا:

- بصي يا نسمة.. أولا دي هدية مني ليك.. ثانيا أنا عارف إن معلوماتك مش كتير في التاريخ واهتماماتك الفنية مش كبيرة.. وده ما يمنعش إني أفهمك قيمة القطعة..

- مش عايزة أفهم.. أنا عايزة أعرف دفعت كام؟

لم يلتفت (عيوش) إلى سؤالها وأستطرد:

- من حوالي سنين كتير.. بظبط في القرن الثالث عشر في إيطاليا.. كانت البيوت هناك بتصنع من الخشب.. والخشب من السهل إنه ينحرق.. فقررت الحكومة هناك إنها تجمع كل صناع الزجاج في مدينة واحدة هي جزيرة موارنو.. ومن هنا إتوجد إزاز جميل مشهور يصنع يدويا بإسم مورانو.. والإزاز ده بيتصنع منه قناديل وأدوات مائدة وأساور وتحف زينت قصور الدنيا.. أما الولد والبنت دول بقه جايين من هناك عشان يزينوا بيتنا الجميل هنا في ستة أكتوبر..

نظرت إليه (نسمة) بإستهزاء وقالت:

- أنا مالي بكل ده! أنا عايزة أعرف تمنها

- قلتلك هدية

- وأنا مصرة أعرف تمنها

أخذ (عيوش) نفساً عميقاً ثم أجاب:

- تمنها ستة الاف جنيه وإشتريتها بأربعة آلاف و خمسمئة جنيه بعد

الخصم.. إرتحتي؟

إستشاطت (نسمة) غيظاً وصاحت:

- رايح تشتري حتة إزاز بأربعة آلاف و خمسمئة جنيه ومش عايز تغيرّلي الموبايل!

- وهو الموبايل بتاعك ماله؟ ماهو شغال كويس ولسه شاريينه من تسع شهور

- طلع موديلات أحدث منه.. وبعدين من حقي اختار هديتي..

** * **

إمتد الحوار لنصف الساعة، تحول بعدها إلى شجار بات على أثره (عيوش) في صالة الطعام وبين أحضانه تحفة المورانو، فقرر التخلي عن سعادته وإعادة تحفته إلى الجاليري لدرء أي تصدع في الجدار الأسري والحفاظ على زوجة لا تشاركه إهتماماته أو هواياته.

صباح اليوم التالي توقفت سيارة (أماني) أمام جاليري (كنز الأميرة) بالمعادي وبداخلها الصديقتان تنتظران أن تُفتح أبوابه وتنفك عقد المشكلة وتعود (روان) إلى أمها بقطعة المورانو.

أسندت (أماني) رأسها على عجلة القيادة في وهن تستمع لأغنية المطربة (إليسا) وتردد معها

"يا مرايتي من كام سنة لليوم اديش اتغيرت..

يا مرايتي من كام سنة لليوم انا كم مرة خسرت"،

بينما مالت (روان) إلى النافذة تتشق نظراتها وجوه المارة يميناً ويساراً،

فسألتها (أماني) بإستهزاء:

- هو إيه سر تمسكها بالتمثال المورانو ده؟!.. يعني باباكِ الله يرحمه كان شاريه مثلا مع الشبكة ولا كان مكتوب في القايمة؟!

- مش عارفة.. بس بيتهيألي إنه بيفكرها بذكرى حلوة

- باباكِ ده كان مزاجه غريب

- بابا كان مزاجه عالي جدا.. كان بيحب الفن و الفلسفة و كان بيستمتع بالحياه.. يسافر يتفرج على الدنيا ويرجعلنا بهدايا.. كان بيقدر التحف جدا ويحب يشتريها من وقت للتاني..

(أماني) ضاحكة:

- ما هو باين من التحفة اللي جنبي

لم تأبه (روان) لدعابتها وأستطردت:

- عارفة.. أنا كنت ساعات بسمعه بيقول إن الناس زي المورانو .. رمل بينحرق عشان يتشكل.. وكان بيقول إن فيه مورانو أدوات وفيه مورانو تحف.. وفيه مورانو تماثيل وفيه مورانو مصابيح.. مورانو بيتلون ومورانو شفاف.. مورانو أبيض ومورانو أسود.. وفي النهاية كل المورانو إزاز ضعيف لو ضغت عليه ينكسر..

لم تكد (روان) تكمل حديثها حتى وصل (عيوش) وأوقف سيارته في الجهة المقابلة ومكث داخل السيارة يفكر في رواية منطقية يعيد بها تحفة المورانو ويسترد أمواله ...

بعد عشر دقائق أهلت (منال) منسقة الجاليري تخرج المفاتيح من جيبها، فإنقض الثلاثة عليها في آن واحد يحدثونها عن قطة المورانو، فتراجعت

(منال) إلى الخلف في ذعر، بينما إنتبه كلٍ لما يقوله الآخر فإلتفتت (روان) إلى (عيوش) سائلة:

- انت اشتريت الشمعدان المورانو البنت والولد وعايز ترجعه؟

أجاب (عيوش):

- يا ريت..

- خلاص أنا هشتريه منك.. إنت دفعت فيه كام؟

نظر (عيوش) إلى (منال) ثم قال:

- هو كان تمنه ستة ألاف جنيه.. بس أنا أشتريته بأربعة آلاف و خمسمئة جنيه فتحت (روان) فاهّا في دهشة وتمدد ثغرها الرقيق ليشابه نفق (شبرا)، فأغلقته (أماني) بكفها قائلة:

- مش مهم إحنا هنديلك فلوسك ولو إننا بايعينه بسبعمئة جنيه بس.. خللينا نشوف القطعة الأول

تهللت أسارير (عيوش) الذي وضع الصندوق على مقدمة إحدى السيارات ثم أخرج منه تحفة المورانو، فتفحصتها (روان) جيداً وأومأت برأسها إلى صديقتها، فقالت (أماني):

- أوك.. تمام.. أنا هدفع باقي المبلغ

إنشغلتا الصديقتان بالبحث في حقيبتيهما عن كل الأوراق النقدية لإستكمال المبلغ المطلوب، فتنحى (عيوش) جانباً إلى أن تجمعان المبلغ فلا يسبب لهما إحراج، وبقت قطعة المورانو داخل الصندوق أعلى مقدمة السيارة وإنشغلت (منال) بفتح بوابة الجاليري..

و فجأة وفي أقل من ثلاث ثوان مرت دراجة بخارية (موتوسيكل)

مسرعة كالبرق، يعتليها رجلان خطف أحدهما الصندوق كالصقر وإنطلق الآخر بالدراجة البخارية كالسهم لا يستوقفه أحد، فصرخت (أماني) مستنجدة، فإرتبك قائد الدراجة البخارية وإختل توازنه عند الدوران في نهاية الشارع وإصطدم بأحدى شاحنات تجميع القمامة، فطار الصندوق من بين يدي الرجل الآخر وسقطا على الأرض..

هرع إليهما الأربعة، فهرول الرجلان ينفضان الغبار عن ثيابهما لا يعبئان بالصندوق الذي صار بعيدا، وطفقا يعتليان الدراجة البخارية مرة أخرى وإنطلقا قبل أن يمسك بهما أحد..

وصل (عيوش) و(روان) و(أماني) و(منال) إلى حيث سقط الصندوق، فوجدوه فارغاً وقطعة المورانو قد هوت بجواره وتهشمت إلى أجزاء وقطع صغيرة يتوارى بعض منها خلف الثرى ويمتزج البعض الأخر بطينة الشارع ومياه (المجاري) الصرف الصحي الطافحة، فجلس (عيوش) على رصيف الشارع غير مصدق لما حدث، بينما أخذت (روان) تنظر في ذهول إلى بقايا المورانو والصندوق الفارغ، فإنحنت تلتقط غطاء الصندوق وأحتضنته، ثم مشت واجمة تجر قديمها حتى توارت داخل سيارة (أماني)، وأنشغلت (منال) بتجميع بقايا زجاج المورانو حتى لا تتسبب في إيذاء أحد المارة بالشارع .

عن « مورانو »

".. فى القصص المتعددة التى كتبها « طارق عيد » وعى استثنائى بمعطيات ومفردات الواقع المصرى والعربي، متكئاً على العودة إلى التاريخ والأسطورة والرمز وفى معظم الأحيان يعتمد الوضوح التام، ليكشف عن التحولات العميقة فى هذا الواقع والتى أفضى بعضها إلى تخلخلة منظومات القيم والسلوكيات السائدة، ويتجلى ذلك فى غياب الصدق والتغول المادى والرغبة الشرهة فى الامتلاك والثراء والجاه حتى لو أزهقت أرواح وإنتهكت البراءة ، وهو ماعبرت عنه قصة «أكاديمية النذالة» التى قدمت نمطاً جديدا يجسد ذروة إنهيار المنظومة القيمية، والذى يرتد على أصحابه وفق ما كشفت عنه نهاية القصة المروعة. وفى ظنى أن المؤلف أراد بهذه التجليات والمعزوفات المتلاحقة من وقائع نعيشها فى حياتنا اليومية وقد لا ننتبه إليها، أن يوقظ فينا نخوة إستعادة الروح التى إنزوت من زماننا العربى والمصري، بعد كل هذه السنوات من الاضطراب الاجتماعى والاقتصادى والنفسي عقب ثورات الربيع العربي، فأغلب القصص تحمل إيماءات عن ثورة الخامس والعشرين من يناير والتى ألقت ولاتزال بظلالها على المشهد المصرى بكل أحواله إيجاباً وسلباً.

وتتنوع عناوين القصص من «مفاتيح» التى تشكل المدخل لهذا العمل الإبداعى التى يتكئ عليها (طارق) مرورا بـ«راجيةحياة» و«قلب الريشات» و«القاصرة والشيخ أيمن» و«رضا القاتل» و«أكاديمية النذالة» و«عودة عيوش» و«أب وابن» و«الحب حلبسة» وصولاً إلى «إذن انصراف» ثم «مورانو» وهى القصة الكاشفة ، أو بمعنى آخر الفصل الأخير فى الراوية التى تبعث برسائلها عبر تهشم التحفة الزجاجية الثمينة بعد تنقلها بين العديد من الأيدى التى ترواحت نظرة أصحابها إليها بين التقديس والحرص واللامبالاة والعبث، فانتهى بها الأمر إلى بقايا زجاج ثمة من حاول تجميعه من الطريق حتى لا يتسبب فى إيذاء أحد من المارة بعد أن كانت تقيم فى خانة التحفت القديمة والعتيقة وتباع فى «الجاليري» بمبالغ مرتفعة... "

---

* جزء من مقال نقدي للكاتب و الصحفي الكبير ((العزب الطيب الطاهر))، بعنوان: " «مورانو».. كتابة مغايرة وبحث دائب عن استعادة قيم مهشمة " – جريدة الأهرام اليومي – الأربعاء ٢٠ يناير ٢٠١٦ - العدد ٤٧١٦١- باب الكتب – ص ٢٠ .

عن الكاتب

« **طارق عيد** » كاتب و مهندس ديكور مصري من مواليد القاهرة ١٩٨٠، تعلم في مدرسة «ليسيه الحرية» و حصل على بكالوريوس هندسة الديكور من كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان، قبل ان يحصل على دبلومة دراسات عليا في العلوم الهندسية البيئية – جامعة عين شمس، و يستكمل الدراسات كباحث الماجستير في تخصص العمارة الخضراء، و يعمل بمجال السلامة والصحة المهنية والبيئة.

صدر له (*حتى نهاية ٢٠١٨*) هذه الرواية «مورانو» و نُشر له بعض القصص و المقالات بجريدة «الأهرام» المصرية ، والكاتب يعتمد بشكل كبير على النشر الإلكتروني لما يكتبه من قصص قصيرة أو مقالات دورية، و في العام ٢٠١٤ نجح الكاتب في جذب القُراء من خلال نشر بعض القصص القصيرة والمقالات على وسائل التواصل الاجتماعي وعلى موقعه الإلكتروني والذي حاز على نسب دخول وقراءات مرتفعة جدا.

بدأ الكاتب في نشر كتاباته إبان فترة دراسته بالجامعة و إشتغل عضواً بلجنة التحرير في مجلة «كلمتنا» الشبابية منذ بداية تأسيسها عام ١٩٩٩ فكتب و نشر من خلالها العديد من المقالات والقصص القصيرة والأشعار حتى العام ٢٠٠٣ وكان

أشـــــهر تلــــك الكتابــــات سلســــلة ســـــاخرة بعنــــوان "رسالة من عيوش ٢٠٠٠"، كما كان له أنشطة ثقافية أخرى في ذلك الحين أبرزها فكرة تدشين مجلة مطبوعة بإسم «الفنون الجميلة»، وكذلك الكتابة والإعداد المسرحي لبعض عروض فريق «أتيليه مسرح الفنون الجميلة».

المحتويات


دار
الفراعنة
دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة